تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

حقوق الجوار بين الشرع والواقع

ذ. عبد اللطيف احميد الوغلاني ص : 6

الشيخ والنقاب

د. عبد الرحيم بلحاج ص : 3

محاولة لفهم ما حصل؟!!

ذ. أحمد الأشهب ص : 15

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com

المحجة

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
جامعة نصف شهرية
12 ذو القعدة 1430 ـ 01 نونبر 2009
الثمن : 3 دراهم
العدد : 327

اعتصموا بالله تتحقق لكم الوحدة الحقيقية

ذ. المفضل فلواتي ص : 2

أسئلة محيرة؟

ذ. محمد فتح الله كولن يجيب عن :

حول مفهوم تدبر القرآن الكريم

د. فريد الأنصاري ص : 9

مفاهيم التدبر في القرآن الكريم وآثاره وموانعه

دة. سعاد الناصر(أم سلمى) ص : 11

يا قادة العرب والمسلمين ماذا تنتظرون؟ إن ثالث الحرمين على وشك السقوط!

د. عبد السلام الهراس ص : 16

صناعة النكبة العسكرية في فلسطين

ذ. نبيل شبيب ص : 8

لعنة غزة...

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 13

اعْتَصِمُوا بالله تتَحَقَّقْ لكُمْ الوحْدَة الحقيقيّة

اتحادُ الأمّة المسْلمة فرْضٌ دينيٌّ ومصْلَحِيٌّ ودَعَويّ :

أمّا دينيٌّ فلأن الله عز وجل جعلنا أمة، وأمرَنا أن نتّحد لنَكُون أمّةً. وهذه بعض النصوص التي توجب علينا أن نكون أمة :

1) نحنُ ثمرة دعْوة سيّدنا إبراهيم عليه السلام الذي دعا وقال : **﴿ربَّنَا واجعَلْنا مُسْلمَيْن لكَ ومن ذُرِّيتنا أمّة مُسْلمة لك﴾**(البقرة : 128) بلْ أكثر من ذلك طلب من الله تعالى ألاّ يتْرُك الأمة من نسْله الدِّيني والدّعوي همَلاً بدون قائد يقودُها للقيام برسالتها، فقال : **﴿ربّنَا وابْعَثْ فيهِمْ رسُولاً منْهُم يتْلُو عليْهم آيَاتك ويعلّمُهم الكتابَ والحكْمة ويزَكّيهم﴾**(البقرة : 128).

ومن العار أن نتخلّى عن أمّة صنَعَها الله تعالى في عالم الغيب قبْل أن توجَدَ بقُرون وقرون. إنّه عُقوقٌ لنعمة الله عز وجل ما بعْده من عقوق!!!

2) وعندما تحقّقَتْ الأمّةُ بقَائدها وجُوداً في زَمنها المقدَّر، قال لها -تنْصيباً رسْمياً- لممارسَة وظيفَتها التي لها وُجدَتْ، ولَها وحْدَها كانتْ **﴿وكَذَلك جَعَلْناكُم أمّةً وسَطاً لتكُونُوا شُهَدَاء علَى النّاسِ ويكونَ الرّسُولُ عليْكُم شَهيدا﴾**(البقرة : 143) ومن العَار التخلّي عن الشرف الربّاني الذي طوّق الله به الأمة.

3) ذَكَر الله عز وجل الأمة بصيغة الوحْدَة صراحةً مرّتين في القرآن مع تبْيان الهَدَف الموحّد لها، فقال : **﴿إنّ هَذه أمّتُكُمْ أمةً وَاحدةً وأنا ربُّكُم فاعْبُدون﴾**(الأنبياء : 92) **﴿وإنّ هذه أمّتُكُمْ أمةً واحدةً وأنا ربُّكُم فاتّقُون﴾**(المؤمنون : 52) ومن العار خرْقُ سياج الوحْدة الذي سيَّجَهُ اللّه تعالى بها لتكُون آمنة داخلهُ، ومتحصّنةً به من كلّ الآفات والنكَبات.

4) أمرَ الله عَز وجل الأمة أمراً صريحاً بالتوحُّد، ونهاهَا نهْياً صريحاً عن التفرق، فقال : **﴿واعْتَصمُوا بحَبْلِ اللّه جَميعاً ولا تفرّقُوا﴾**(آل عمران : 103)، ومن العُقُوق الكَبير : التمرُّد على الله عز وجل وعصْيانُ أمره ونهْيه.

أما الفرض المصْلحيّ فالقوةُ الحقيقية للأمة هي قُوةُ الوحْدة، إذْ مهْما تسلحت الدّولُ المُسلمة، ومهْما أنشأتْ من قوّة العَسْكر، وقوة الأمن، وقوّة المخابرات، وقوة القانون،وقوة المحاكم والسجُون والمعتقلات، وقوة الإرهاب الفكري والثقافي والإعلامي والنفسي، فإن ذلك لا يؤسِّسُ أمْناً، ولا يزْرَع اطْمئناناً، ولا يرُد بأساً، ولا يرْدَعُ عَدُوّاً، ولا يجْلُبُ هيْبَةً، ولا يصنَعُ وقاراً واحتراماً واعتباراً محلّياً وعالمياً... وإنما يصْنعُ ذلك وأكثَر من ذلك الوحْدةُ على أسَاس الهدف المرسوم، والوحدةُ على أساس أداء الرسالة، والوحدةُ على أساس النيابة عن الله عز وجل في إقامة الحق، وتوزيع العدْل بين الناس. ألم يقل الله تعالى **﴿ولا تَنَازَعُوا فتَفْشَلُوا وتذْهَبَ رِيحُكُم﴾**(الأنفال : 47) وهلْ هناك دلالةٌ أقوى على ذَهَاب الرِّيح، وخِفَّة الوزْن المحليّ والدّولي من أن تكون أمّةُ المِلْيار وزيادة لا اعتبارَ لَها أبداً في أي مجلس من المجالس الدّولية بينما حُثالات بملايين مَعْدُودة يتحكّمون في مصائر المسلمين وكل المستضعفين بدون حق، ولا سند شرْعي أو عُرفيّ أو قانوني؟!! رضِي من رضِي، وأبَى من أبَى، بل من أبَى فلْيَسْتفَّ التُّراب أو ليَنْطَحْ الحائط.

أمّا الفرض الدّعويُّ فإن الله تعالى قال : **﴿ولْتَكُنْ منْكُم أمّةٌ يدعُون إلى الخَيْر ويأمُرُون بالمعْروف وينْهَوْن عن المُنْكر وأولئك هُم المُفْلحُون﴾**(آل عمران : 104) إذ الدّعوَةُ الفرديّة تأتي بالخير الكثير، ولكن الدّعوة التي هي وظيفةُ الأمة أساساً لا تثمرُ الإثمارَ المطلوب إلا إذا قامتْ بها الأمة لما تتوفر عليه من الإمكانات التي لا تتيسّرُ للأفراد مهْما بذلُوا وأبدعُوا، فأداءُ رسالة الأمة هي التي توحّد الأمة، وتعطيها قوةً واعتباراً، وهي التي تمنحُها نفوذاً أدبيّاً واحتراماً وتقديراً. فإذا تخلّتْ عن الدّعوة تخلّتْ عن رُوحها وقوتها، بل تخلّتْ عن أساس وجود كيانها، وأساس صبغتها المميزة لها من دون الناس.

هدَفُ التوحُّد ومحْوره :

إنّ كُلّ مشروع سواء كان صغيراً أو كبيراً لابُدّ أن يكُون مُرتكزاً -لينْجَح- على أهداف صغيرة أم كبيرة، بعيدة المدى أم قريبة المدَى، سامية الهَدَف أم سافلته. ومشروع الدّعوة أسْمَى مشروع، لأنه مشروعُ الإصلاح للإنسانية كُلّها وإنقاذها من الزيغ والضّلال، وهَلاَك الأنفس هلاكاً أبَديّا إذا لم تتداركْها رحمة الله بالهداية والصلاح والفلاح..

فما هو هَدَف التوحُّد؟!

هدَفُ التوحُّد :

أ- عقيدةً : هَو عبادةُ الله تعالى وحدهُ لا شريك له بكل صدْق وكُلّ إخْلاص، مع محبّته عز وجل محبّةً فوْقَ محبة الأنفُس والأولاد والأموال، لأنّه سبحانه هُو واهبُ الحياة، وواهبُ الأزْواج والأولاد والأموال، وهذا الهَدَفُ هو الذي أمر الله عزو جل بالمناداة به كُلّ الناس، وبالأخص أهْلَ الكتاب، قَال تعالى : **﴿قُلْ يا أهْلَ الكتاب تعالَوْا إلى كَلمَة سواء بيْنَنا وبَيْنَكُم ألاّ نعْبُدَ إلاّ اللّه، ولا نُشركَ به شَيْئاً ولا يتّخذ بعضُنا بعْضاً أرباباً من دُون اللّه فإنْ تولّوْا فقُولُوا اشْهَدُوا بأنّا مُسْلمُون﴾**(آل عمران : 63).

ب- عبادةً وسلُوكاً : إقامة الصلاة وأداؤها بخشوع، وتقوى الله في السر والعلانية، والابتعادُ عن انتهاك الأعراض ونشر الفاحشة، وإنفاق الأموال في كل ما يفيد الفرد والمجتمع ويقدمهما علما وثقافة وصناعة وإعداداً، والحفاظ على كل الأمانات : أمانة الدين، وأمانة الزوجة والأولاد، وأمانة الجار والأقرباء، وأمانة الوظيفة والحكم والسياسة والإعلام والاقتصاد... بعض هذا قد جاء في قوله تعالى : **﴿قدْ أفْلَح المومنُون الذين هُم في صلاَتهم خاشعُون والذين هُم عنِ اللّغْو مُعْرضُون والذينَ هُم للزّكَاة فاعلُون والذين هُمْ لفُرُوجهم حافظُون.... والذينَ هُم لأماناتهم وعَهْدهم رَاعُون والذينَ هُمْ على صلَواتهمْ يُحَافظُون﴾**(المومنون : 1- 9).

جـ- شريعةً : التحاكُمُ في كُل شؤُونهم الأسروية والاجتماعية والسياسية والتخاصمية والحدودية والتعزيرية والتأديبية إلى شرع الله الذي يتضمنه كتابه وسنة نبيه **﴿وأن احْكُمْ بيْنَهُم بما أنْزَل اللّه ولا تتّبع أهْواءَهُم﴾**(المائدة : 51).

د- غايةً : الطمع في رضوان الله تعالى وما أعدّه للصالحين، من عباده في دار الكرامة، ودار السلام، ودار الرضوان، ودار الفوز بنعمة الخلود في النعيم المقيم **﴿أولئك هُمُ الوارثُون الذين يرثُون الفرْدَوْس هُم فيها خَالدُون﴾**(المومنون : 10- 11).

هـ- دعوةً : لأن الدعوة هي وظيفةُ الأمة الأساسية لإقامة حُجّة الله تعالى على خلْقه، فهي وجْهُهَا الذي تُعْرفُ به من دُون النّاس، فإذا تركَتْ الدّعوة أصبحتْ كبَقية الناس، بلْ أصْبَحَتْ دُونَ باقي النّاس، وجرَى عليها ما جرَى على الأمّة التي غَضب اللّه عز وجل عليها، فقال فيها **﴿لوْلاَ ينْهاهُم الرّبّانيّون والأحْبارُ عن قوْلهم الإثْم وأكْلهم السُّحْت لبئسَ ما كَانُوا يصْنَعُون﴾**(المائدة : 65) بلْ وجرَى على عُلمائها المُتهافتين على الدنيا ما جرى على عالم بني اسرائيل الذي قال فيه تعالى : **﴿واتْلُ عَلَيْهم نَبأ الذي آتَيْناهُ آيَاتنَا فانْسَلَخَ منْها فأتْبَعَهُ الشّيْطانُ فكَانَ من الغَاوينَ ولَوْ شئنَا لرَفَعْنَاهُ بها ولكنّهُ أخْلَد إلى الأرْض واتّبَع هواهُ فمَثَلُه كمَثَل الكَلْب إن تحْملْ عليْه يلْهَث أو تتْرُكْه يلْهَث ذَلك مثلُ القَوْم الذين كَذّبُوا بآيَاتنا فاقْصُص القَصَص لعَلّهُمْ يتفَكّرُون﴾**(الأعراف : 176) فليْسَ كالدعوة موحداً وجامعاً ومُنْهضا ومميِّزاً للأمة، ومُعرِّفا بهدفها وسلوكها وعلْمها وثقافتها.

عوائقُ التّوحُّد :

العوائقُ كثيرةٌ جداً، لكنّ أمّ العَوَائق :

العلْمانيّة : أي علْمنةُ سَيْر الحياة، وإدَارتُها في كلّ المجتمعات المسلمة في غيْبة تامّة عن أمْر الله وشرْعه، أيْ مبارزَةُ الله تعالى بالتمرُّد، وإعْلان الحرْب والعصْيان عليه، والتجرُّؤ الوقح عليه -سبحانه وتعالى- بإعْلان سحْب حقّ الحُكْم والتّدْبير لمُلْكه الذي خَلَقهُ وحْدَه، وجعَلَه -بفضْله- مُسخّراً للإنْسان ليسير فيه وفقَ أمْره وشرعه، ولكنّ الإنسان الجاهل يطْغَى بمُجرَّد امتلاك حفْنة من مال اللّه، فيَظُنُّ أنّهُ بذلك اسْتَغْنَى عن اللّه تعالى في كُل شأنٍ من شؤون نفسه، وشؤون حياته، وشؤون دنياه، وشؤون التصرُّف في مُلك مولاه.

وبذلك تنْفتح أمام الإنسان أبْوابُ الأهواء على مصراعيها، فلا مرْجعية موحّدة، ولا هَدف موحّد، ولا مُوالاةَ موحّدة، ولا تصوُّرات موحّدة، ولا اهْتمامات موحّدة، ولا منطلقات موحّدة، ولا مُعْتَقدات موحّدة، ولا مبادئ موحّدة على أساسها يتمُّ الإيخاءُ والتّعاوُن أو التّعادي والتنابُذ... أهْواءٌ، فأهْواءٌ، فأهْواءٌ، بدون حُدُود ولا كوابحَ وضوابط.

وقد تجسّمَتْ هذه الأهْواءُ في المجتمعات المسلمة :

● على أشكال التهافُت على الدّنيا بكل زخارفها ومغرياتها وشهواتها، وهؤلاء المتهافتون لا يُرجى منهم أن يرْفعُوا رأساً بدعوة لإعلاء كلمة الله تعالى.

● على أشكال الشّرْك السياسي، حيث زيّن الشيطانُ للمشركين شركاً سياسياً بأنهم يستطيعون من خلال العَفَن السّياسيّ أن يحطّمُوا أصنامَ السلطة والمال لدَى سدَنَتها، فيجرُّوهم للضّفة الطاهرة، فكانت النتيجة أنهم غرِقوا إلى الأذْقانِ في وحَل التجاذُب الذميم، والتنافس المُشوِّه للغاية والكرامة، هؤلاء خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يوقظهم فينفع بهم.

● على أشكال الموالاة لأعداء الله صراحةً، الذين نهانا الله عز وجل عن موالاتهم صراحةً، فأصْبح الموالون لهم لا يقطعُون أمراً بدونهم، ولا ينْهجُون سياسةً بدون إرشادهم، هم المرجعية العُلْيا، وهُم السلطة العُلْيا، ولوْ تصادَم كُلُّ ذلك -صراحة- مع دين الله وأمره وشرعه. هؤلاء أمْرُهم بيد غيرهم لا يُرجى منهم العملُ لوحْدة، ولا العملُ لدَعوة، ولا العملُ لنهضة، مادامُوا لمْ يتبرَّأوا من عبادة الأصنام البشرية الجوْفاء.

● على أشكال الزعامات المتكبرة المغرورة التي تكاد تظُنُّ أن الوحيَ ينزل عليها، وأن الله عز وجل بعثَها لإخراج الموْتَى من القبور، ولا تدْري أنها إنما تعْمَلُ لزيادة تكْديس الموتى المدْفونين في قُبور الضمائر، وقبور الاستبداد، وقبور السَّحْق والشنق.

ولا يقل خطراً عن هذه الزعامات زعاماتُ الانغلاق الشّامل الذي أصْبح صنماً يُعْبَدُ من دون الله، فالزعامات المتكبرة والمنغلقة لا يُرجى منها -في الوقت الحاضر- التنازل عن ذاتيتها، والتواضعُ لروح الإسْلام المتَسامح المنْفتح على كل الطاقات لبناء وحْدة شاملة لا عُلُوّ فيها ولا اسْتكْبار، ولا غلوّ فيها ولا احْتكار.

والحلّ أحد أمرين :

أولهما : الانضمامُ إلى جَوْقَة العملاء، والمتهافتين على الدنيا والسلطة والمال تحت أقدام عتاة الإجرام، وآنذاك : سلامٌ على الأوطان والأعراض والمقدسات وكل أصوات الخير والمعروف والعدْل والإحسان.

ثانيهما : الانضمام للجياع الحُفاة العُراة الصامدين في أجْواف الأخطار، وأحْداق الموت الشريف المربِّص بهم في الليل والنهار. لا اعتماد لهم إلا على الواحد القهار، وسُنَنُ الله تعالى الأزلية تقول لهؤلاء : **﴿ونُريدُ أنْ نَمُنَّ على الذينَ اسْتُضْعفُوا في الأرْض ونجْعَلَهُمْ أئمّةً ونجْعَلَهُمْ الوَارثين ونُمَكّن لهُم في الأرْض﴾**(القصص : 5) كما تقول لهم **﴿واذْكُرُوا إذ أنْتُم قَليلٌ مُسْتَضْعَفُون في الأرْض تخَافُون أن يتَخَطّفَكُم النّاسُ فآوَاكُمْ وأيّدَكُمْ بنَصْره ورزَقَكُمْ من الطّيّبَات لعَلّكُم تشْكُرُون﴾**(التوبة : 26).

وآنذاك تتحقق الوحدةُ : وحدة الثابتين الربّانيين الصامدين المصنوعين بقدر الله وفضله.

ذ. المفضل فلواتي

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

كلينتون تعارض جهود الدول الإسلامية لمنع الإساءة إلى الأديان

واشنطن: عارضت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون الاثنين الماضي الجهود التي تبذلها بعض الدول الإسلامية من أجل منع الإساءة إلى الدين محذرة من أنها تمثل انتهاكًا لحرية التعبير عن الرأي.

ونقلت صحيفة "القدس العربي" اللندنية عن كلينتون تحذيرها من أن قوانين منع الإساءة للأديان يمكن أن تمنع الانتقاد المشروع للأديان المختلفة.

وقالت كلينتون: "البعض يزعم أن أفضل طريقة لحماية حرية الأديان هو تنفيذ ما يسمى سياسات منع الإساءة والتي تحد من حرية التعبير عن الرأي وحرية الأديان، وأنا أرفض ذلك بشدة".

يذكر أن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم 57 دولة تسعى إلى دفع مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة لإصدار إدانة واسعة لتشويه الأديان.

وتسببت هذه المسألة في إثارة خلافات خطيرة في الماضي بين الدول ذات الأغلبية المسلمة والغرب مثل أعمال العنف التي تفجرت إثر نشر صحيفة دنماركية لرسوم تسيء للنبي محمد ﷺ.

وقالت كلينتون: "إن حماية حق الإنسان في ممارسة دينه لا علاقة لها بحرية التعبير عن الرأي لدى الآخر".

وأبدى التقرير السنوي لوزارة الخارجية الأمريكية وجهة نظر متباينة بشأن حرية الأديان في مختلف أنحاء العالم مركزًا على بعض الجهود الجديدة من خلال حوار ما بين الأديان في الأردن وأسبانيا غير أنه أشار في الوقت نفسه إلى تزايد أعمال القمع في مناطق أخرى من العالم.

وأدرج التقرير ميانمار (بورما سابقًا) والصين واريتريا وإيران وكوريا الشمالية والسعودية والسودان وأوزباكستان كدول تمثل قلقًا خاصًا.

منظمة العفو الدولية تتهم الكيان الصهيوني بحرمان الفلسطينيين من المياه

واشنطن: اتهمت منظمة العفو الدولية الاحتلال الصهيوني بحرمان الفلسطينيين بالضفة الغربية وقطاع غزة من المياه ، في الوقت الذي تمد المستوطنات بكميات غير محدودة منها.

ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" عن تقرير منظمة العفو : "نُشر يوم الثلاثاء الماضي إن "إسرائيل تضع قيودًا تمنع الفلسطينيين من الحصول على ما يكفي من المياه في الضفة الغربية وقطاع غزة".

وأشار التقرير الصادر عن المنظمة الرائدة في مجال الدفاع عن حقوق الانسان ان "استهلاك المياه اليومي في اسرائيل لكل فرد يزيد عن أربعة أضعاف ما يستهلكه الفرد في الأراضي الفلسطينية".

وقالت المنظمة إن "المستوطنين في اسرائيل يتمتعون بحدائق خضراء ووسائل ري متقدمة وحتى بأحواض سباحة كثيرة بينما لا يحصل الفلسطينيون على ما يكفي حاجاتهم اليومية من المياه وفي غزة على سبيل المثال، تمنع اسرائيل الفلسطينيين من الحصول على المعدات من أنابيب ولوازم أخرى يحتاج إليها الفلسطينيون لتطوير شبكة المياه".

وقالت دوناتيلا روفيرا وهي من المشرفين على إعداد التقرير لدى منظمة العفو إن "المياه من الاحتياجات الأساسية وحق أساسي لكن بالنسبة لكثير من الفلسطينيين حتى الذين يحصلون على كميات مياه لا تكاد تغطي احتياجاتهم كما أنها غير نقية ، لدرجة أصبح معها الماء رفاهية يمكنهم الحصول عليها بالكاد".

يشار إلى أن الكيان الغاصب يتحكم بضخ المياه من طبقة صخرية مائية تربط بين الأراضي المحتلة والأراضي الفلسطينية.

وأعلن مارك ريجيف الناطق باسم حكومة الصهاينة ان "ما ورد في التقرير غير دقيق"، متهما الفلسطينيين بـ "سوء استعمال المياه".

وأشار تقرير "العفو الدولية" إلى أن اسرائيل تستهلك يوميا 300 لتر مياه للفرد الواحد بينما لا يزيد استهلاك الفرد الفلسطيني في الضفة والقطاع عن 70 لترا في اليوم.

بعد أحداث الأقصى.. الصهاينة يعلنون فتح الحرم القدسي أمام المتطرفين اليهود

القدس المحتلة: رغم الأحداث التي شهدتها مدينة القدس المحتلة يوم الأحد، تواصل سلطات الاحتلال الصهيوني سياستها الرامية إلى فتح الحرم القدسي أمام اليهود المتطرفين، وقررت السماح يوم الاثنين الماضي "بدخول عادي للزوار! " إلى باحة الحرم القدسى الشريف.

ويأتي هذا بعد مواجهات عنيفة وقعت يوم أمس الأحد بين معتصمين فلسطينيين في باحة الحرم حاولوا التصدي لاقتحام تنظيمات استيطانية يهودية، وبين قوات الاحتلال التي انتشرت بكثافة في الحرم القدسي ومحيطه لحماية هؤلاء المستوطنين.

وذكر موقع "عرب 48" الإخباري إن الشرطة الصهيونية والأجهزة الأمنية عقدت مساء الأحد "جلسة تقييم" تقرر في نهايتها السماح يوم الإثنين "للزوار والمصلين" بدخول ساحة الحرم القدسي الشريف..!

ويتضح من تصريحات المسؤولين أن التصعيد في الفترة الأخيرة في منطقة الحرم مرده هدف صهيوني هو فتح الحرم القدسي أمام اليهود أسوة بالفلسطينيين. وجاءت تصريحات بهذا المعنى على لسان الناطق بلسان حكومة الكيان الغاصب يتسحاك ليفانون في حديث لقناة "الجزيرة"، وجاءت أيضا على لسان المفتش العام للشرطة الإسرائيلية، ديدي كوهين.

ونقلت إذاعة الجيش الصهيوني عن كوهين قوله، إن سياسة الحكومة تقضي بـ"إبقاء الحرم مفتوحا أمام كافة المؤمنين، لهذا فتحناه صباح اليوم".

فيما زعم ليفانون أن ثمة اتفاق مع الأوقاف الإسلامية بالسماح لليهود بالدخول إلى باحة الحرم في ساعات محددة، وأشار إلى أن الحكومة تسعى لأن يكون الحرم مفتوحا لكافة المؤمنين، أي لليهود أيضا. إلا أن كليهما أكدا أن قوات الاحتلال لا "تعتزم الدخول إلى المساجد"!.

مشعل: على الدول العربية تجميد مبادرة السلام مع الصهاينة

دمشق: دعا رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) الدول العربية إلى تجميد العمل بمبادرة السلام مع "اليهود" ردًا على اقتحامات للمسجد الأقصى.

واعتبر خالد مشعل أن ما يجري في القدس هو مقدمة لتقسيم المسجد الأقصى على غرار ما جرى في المسجد الإبراهيمي في الخليل.

وقال: إنها المرة الأولى التي تقطع فيها سلطات الاحتلال الكهرباء عن المسجد الأقصى وتحجب الأذان فيه وتغلق معظم مداخل المسجد التي يدخل منها فلسطينيو 48، ورأى أن هذه مؤشرات إلى تقسيم المسجد تمهيدًا لهدمه وبناء الهيكل المزعوم مكانه.

وكانت قوات الاحتلال اقتحمت أمس الأحد ساحات الأقصى، وحاصرت المصلين الموجودين فيه، وحاولت خلع أبوابه لإخراج المصلين منه، واعتدت على المصلين بالضرب، واعتقلت بعضهم، كما أطلقت قنابل الصوت والغاز داخل ساحات المسجد.

جاء ذلك في كلمة ألقاها خالد مشعل في مؤتمر صحافي لقادة الفصائل الفلسطينية في دمشق طالب فيها أيضًا القيادة الفلسطينية بوقف المفاوضات مع "الصهاينة" وأن يكون رد فعل هذه القيادة بمستوى ما يجري في القدس.

وقال مشعل في خطابه: إن "إسرائيل" تريد حسم قضية القدس على أرض الواقع بصرف النظر عن المفاوضات الجارية التي قال: إنها لم تحقق شيئًا للفلسطينيين ومطالبًا القيادة الفلسطينية بوقفها، معتبرًا أن مصير هذه المدينة المقدسة لا يحسم بالمفاوضات وإنما بالمواجهة والمقاومة.

ودعا مشعل أيضًا إلى مسيرات غضب وتضامن مع المعتصمين في المسجد الأقصى، ووجه دعوة خاصة لرئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان للتدخل لحماية الأقصى. وفقًا للقدس الفلسطينية.

وفيما يتعلق بالمصالحة الفلسطينية التي ترعاها مصر، قال مشعل إن حركته قفزت عن مطلبها بالاتفاق على البرنامج السياسي لأنها تعلم أن هذا المطلب سيعطل المصالحة التي قال: إن الطرف الآخر (فتح) يريد منها استعادة قطاع غزة وإجراء انتخابات مشكوك في نزاهتها وجعل القيادة الفلسطينية الحالية مفوضة بالتفاوض مع "إسرائيل".

وأشار مشعل إلى أن لدى حركته معلومات مؤكدة أن قيادة "فتح" تريد الذهاب إلى الانتخابات بدون مصالحة لأن إنجاز هذه المصالحة بالشروط السابقة غير ممكن.

ألم قلم

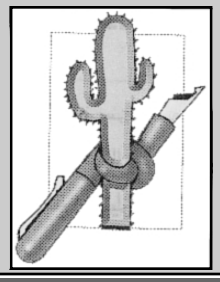

الشيخ والنقاب

ما حدث في جامعة الأزهر بمصر، حينما عنّف شيخ الأزهر تلميذة في المرحلة الإعدادية آمراً إياها بخلع النقاب، يستوقف كل غيور على شرفه وعلى قيمه، أو حتى على تقاليده -إذا اعتبرنا النقاب تقليداً من التقاليد- على اعتبار أن العديد من التقاليد جزءٌ من ثقافة المجتمع وحضارته. ولذلك فإن الموقف الذي وقفه شيخ الأزهر يثير الدهشة من عدة وجوه :

- أنه شيخ لجامعة إسلامية عريقة، هي محضن العلوم الشرعية ومقر لتكوين العلماء والفقهاء، وحارسة على كل ما يرتبط بالحضارة الإسلامية من قيم ذات صلة بالدين أو بالحضارة أو حتى التقاليد. وحريصة على تمثل ذلك في طلبتها ومدرسيها وأطرها الإدارية.

- أنه بمثابة "الفقيه الأكبر"، فعيون الناس، مسلمين وغير مسلمين، مشرئبة إليه، ومن ثم فإن أي موقف يقفه في أمور ترتبط بواقع المسلمين وينال من قيمة من القيم الحضارية الإسلامية سيتبناه كل من يرغب الصيد في الماء العكر كما يقال.

- وبما أنه كذلك فإنه ينبغي أن يكون الأب الروحي والنموذجي في الحديث والتعامل والسلوك، حتى يكون قدوة في كل شيء.

لكن ما حدَث يُعْطِي انْطباعاً آخر ويدفع بالمرء إلى التساؤل عن دلالة موقف شيخ الأزهر، والطريقة التي تم بها التعبير عن هذا الموقف.

- إن نص الحوار الذي دار بين شيخ الأزهر والتلميذة، والذي نقلت مضمونه (وليس نصه) إحدى القنوات الفضائية مساء يوم 2009/10/6 يبين أن الطريقة التي تمت بها مخاطبة الطالبة ليست نموذجية ولا تربوية، حيث تم النيل من كرامة التلميذة، وتحطيم نفسيتها مرتين :

- مرة حينما ثم نعتها بالدمامة وقلة الجمال، وذلك حينما قال لها بعد أن خلعت نقابها فيما -يبدو استجابة للأمر- : «لو كنت جميلة ماذا كنت ستفعلين؟؟.

- ومرة بالانتقاص من التزامهاوتدينهاومعنفا بأنها لا تفهم أي شيء في الدين : «أنا أفهم في الدين أكثر منك ومن الذين خلفوك»، والذين خلفوها أبواها وكل من تلقت عنهم التربية.

فأين هذاالقول من قول الرسول ﷺ لذلك الرجل الذي دخل المسجد وهو راكع إلى أن التحق بالصف حرصاً منه على ألا تفوته الصلاة، فقال له ﷺ : «زادك الله حرصاً ولا تعد»، كلاهما «أفرط» في الحرص على تعاليم الدين، الصحابي في الصلاة، والتلميذة في اللباس -طبعا إن جازت المقارنة- وكان الأحرى بالشيخ أن يقتدي بالتعاليم النبوية في مثل هذه المواقف.

أي أن المطلوب كان ينبغي أن يرفع معنوياتها ويشجعها على تدينها -وهو شيخ الأزهر- ويعظها بالتي هي أ حسن، إن كان هو يرى أن النقاب ليس من الدين في شيء.

إنني شخصيا لست من مناصري النقاب ولا من محبذيه وخاصة بتلك الطريقة الوافدة. ولكني أرى النقاب اختياراً من قبل المرأة أو الفتاة، واقتناعاً بطريقة معينة في اللباس. وإذا كان الأصل في اللباس بالنسبة للمرأة هو اللباس المحتشم فإن الذي ينبغي أن تؤاخذ عليه الفتاة هو التفريط في هذا اللباس وليس الإفراط فيه، أي حينما تخرج الفتاة شبه عارية تفتن الناس وتدفع ذئاب بني البشر إلى أن يكونوا أكثر ضراوة، مما يدفع إلى ارتكاب جرائم متعددة.

وبعد هذا كله فإن موقف "الشيخ" يمكن أن يتخذ " دليلا" أو "قدوة" لاعتماد أو تقنين عدد من الأمور، ولا أدل على ذلك ما تبنته نائبة إيطالية حينما اعتمدت موقف "الشيخ" لمنع النقاب في إيطاليا. وكما استدلت -فيما مضى- عدد من الدوائر الأوروبية بمواقف رسمية عربية وإسلامية لمنع الحجاب (وليس النقاب) في المدارس والمؤسسات العمومية.

إن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة وتأثيراً على المرء من الحسام المهند، يكفي ما تتلقاه الفتاة الملتزمة من أذى وقذف على ألسنة من يتنكرون لهويتنا وثقافتنا وحضارتنا وتقاليدنا في زمن تصطلح فيه كل الأمم والشعوب مع ماضيها إلا هؤلاء المعادون للقيم الإسلامية.

فتحيّة لتلك الفتاة المسلمة المؤمنة الملتزمة التقية، التي تصارع على عدة واجهات من أجل أن تثبت هويتها وتقول للآخر، أيّا كان هذا الآخر : أنا مسلمة أنا مؤمنة أنا ملتزمة بديني، أريد أن أتعلم أريد أن أخدم ديني ووطني، أنا حرة بلباسي أنا آمنة بهيأتي، فما الذي يضُرّكم من هذا؟!

د. عبد الرحيم بلحاج

د. مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي بوجدة

كان النفاق والمنافقون أخطر سلاح واجهه الإسلام وأشد الأسلحة فتكا وتدميرا وأكثر الأسلحة التي فعلت فعلها المدمر في هذه الأمة، والمسلمون لم يؤتوا من جهة الكفار أكثر مما أوتوا من جهة المنافقين والمارقين والفسقة والفجرة الذين كانوا يعلنون لا إله إلا الله ولكنهم كانوا يضمرون الكفر ويخفون مخططات الفساد والإفساد ونوايا التخريب والهدم والكيد، ولقد كان المنافقون على الدوام يعلمون أهمية النطق بالشهادتين وما يضمنه لهم من حقوق وامتيازات داخل الأمة المسلمة، فالنطق بالشهادتين: أشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمدا رسول الله لا يعدله في الإسلام شيء فهي مفتاح الدخول في هذا الدين وسبيل النجاة من النار والدخول إلى الجنة. وهي الموجبة للأخوة بين المسلمين ولتوارثهم وتناصرهم وموجبة للولاء والبراء.

مقتضيات النطق بالشهادتين

ومما يقتضيه الإيمان والدخول في الإسلام النطق بالشهادتين معا وعدم الاقتصار على واحدة دون الأخرى فلا تصح الشهادة بأن لا إله إلا الله عز وجل دون الشهادة بأن محمدا رسول الله ، ويستتبع ذلك أن يصوغ المرء حياته بعد ذلك وفق شريعة الإسلام فيؤمن بكتاب الله وما تضمنه وبسنة رسوله ﷺ ويتبع كل ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والوحي والأحكام.

وهذا الاتباع للرسول ﷺ وهذا النطق بالشهادتين يقتضي ويستلزم ضرورة الإيمان بأن الإسلام نظام شامل للحياة كلها، وفي جميع مجالاتها ومستوياتها الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية والتشريعية لذلك لا يتصور من مسلم ينطق بالشهادتين ويؤمن بمضمونهما أن يدع تحكيم الإسلام في جميع جوانب الحياة ولا نجد مثل هذه السلوكات والمواقف إلا عند المنافقين الجدد من العلمانيين والشيوعيين والملحدين الذين يدعون الإسلام وفي نفس الوقت يحاربونه بادعاء أن أحكامه لم تعد صالحة لزماننا وصارت متجاوزة ويستوردون الحلول الجاهزة من الغرب الرأسمالي أو الاشتراكي.

ولقد تقرر في علم العقيدة أنه لا يصح عمل الكفار مهما كان خيرا إلا أن يدخلوا في الإسلام ودليل دخولهم هو إعلان النطق بالشهادتين أما أولاد المسلمين فإنهم لا يحتاجون لذلك ماداموا ينشؤون في وسط مسلم وبين أبوين مسلمين، غير أن هذا الحكم الأخير إن كان صحيحا في القديم فإنه أصبح اليوم محل نظر لأنه بعد الهزيمة الحضارية للمسلمين والدخول في مرحلة الغزو الثقافي والتعليمي(بجميع مراحله وأطواره الابتدائية والثانوية والجامعية) والإعلامي ومواده وتقنياته(التلفاز والسينما والإنترنيت والمجلات

تفسير سورة المنافقون 7

من مقتضيات النطق بالشهادتين

الخليعة...) لم يعد البيت المسلم سليما بل أصبح أبناء المسلمين هم أنفسهم بحاجة إلى تلقينهم الشهادتين وطلب النطق بها وتكرار ذلك كلما ظهرت الحاجة، هذا مع الحرص المستمر على تربينهم على مبادئ الإسلام وتطبيق ذلك في حياتهم حفاظا عليهم من هذا الغزو الذي يسكن كل البيوت. ولذلك لا يمكن اعتبار كل من ولد من المسلمين اليوم مسلما، ولا كل من يعيش بينهم مسلما إلا أن يعلن النطق بها ويلتزم بمقتضياتها أقوالا وأحوالا وأفعالا، وكثير من المنافقين اليوم يدخلون من هذه النقطة ويقول أنا مسلم أبا عن جد ولا أحد يحق له أن يتهمني في ديني، أو يقول لك أنا ابن العالم أو الفقيه الفلاني وذلك ليخفي نفاقه وكفره ويتخذ ذلك جنة ، وكأن الانتساب إلى أب مسلم كاف في إسلام أبنائه وكاف في درء تهمة الكفر والزندقة عنهم.

والصواب أن أغلب أبناء المسلمين اليوم يحتاجون إلى تصحيح إيمانهم وتجديد النطق بالشهادتين لمشابهة حالهم بحال أبناء الكفار وتلقيهم الكفر من مصادر معرفية متعددة في البيت والشارع والمدرسة... وكلها تحتاج إلى رقابة صارمة وتربية دائمة ويقظة مستمرة، وفي غياب هذه الرقابة يظل إيمان أبناء المسلمين مشكوكا فيه ولو انتسبوا لآباء مسلمين وانحدروا من أوساط إسلامية. ولا ينبغي أن تنطلي وتخفى هذه الحيلة التي يلجأ إليها كثير من المنافقين الجدد لإخفاء نفاقهم بمجرد الادعاء الانتساب لأسرهم المسلمة.

إضافة لما سبق فإن علماءنا القدامى قرروا أن النطق بالشهادتين يلزم أن يكون باللسان العربي ولا يجوز أداؤها بترجمتها إلى أية لغة أخرى وأداؤها من خلاله لأنه لا توجد كلمة في أي لغة أو عبارة يمكنها أن تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه هذه العبارة في اللسان العربي، ولأن في ذلك حفظا للغة العربية والقرآن إذ لا يفهم القرآن حق الفهم إلا بالحفاظ على لغته التي أنزل بها، وأي تفريط في هذه اللغة يلزم عنه تفريط في القرآن وكل محاولة لترجمة القرآن بقصد التخلي عن اللغة العربية يؤدي إلى ضياع معاني القرآن وتحريفها، وضياع الأصل اللغوي اللازم لفهمه وبيانه. لذلك فإن قلت إن منافقي اليوم يدركون سر هذا التلازم بين القرآن الكريم ولغته العربية لذلك فهم لا يفتؤون يوجهون سهام الطعن فيها وفي القرآن ويشجعون استعمال اللهجات العامية وتدريس اللغات الأجنبية في جميع مراحل أسلاك التعليم وفي الإعلام والإدارة...

اللجوء إلى الإيمان دليل على عجز المنافقين على الوفاء بمقتضيات الشهادتين

ويظهر من المقتضيات السابقة أن المنافقين عاجزون بإرادتهم عن الوفاء بها وعن الإخلاص فيها، وعن الالتزام بها في أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، وهذا هو الذي يفسر لماذا يلجأون إلى الإعلان بالنطق بالشهادتين وتوكيدها بأساليب التوكيد، وبسبب رغبتهم في البقاء على الكفر مع الحرص على الحفاظ على مصالحهم فهم يخفون الكفر ويبطنونه ليظهروا النفاق ويحتاجون في كل مرة إلى القسم والحلف بالله لدفع الشبه والشكوك عنهم لذلك أخبر الله بحالهم ودوافعهم في هذا النطق بالشهادتين فقال تعالى:اتخذوا أيمانهم جنة، أي وقاية من الفضيحة ووقاية من الانكشاف أمام المسلمين وسترة لهم من العقاب المادي والمعنوي الذي يمكن أن يلحقهم من جماعة المسلمين كالحرمان من سائر الامتيازات التي يخولها الدخول في الإسلام للإنسان، وقد جاء التعبير بلفظ "الجنة" في غاية الدقة، لأن هذا اللفظ يوحي بمعان متعددة منها الخفاء والإخفاء لذلك سمي الطفل في بطن أمه جنينا لخفائه، وسمي المكان الذي فيه أشجار كثيفة جَنة لإخفائه ما بداخله، وسمي القلب جنانا لخفاء ما فيه من أسرار وأحوال، كما يطلق على من فقد عقله مجنونا لأن الجنون هو حالة اختفاء العقل ، والجُنة تطلق على السترة التي يختفي وراءها الإنسان للاحتماء من عدو أو خطر، وهنا يفهم الحكمة من الإخبار الإلهي عن حال المنافقين وعن القصد من أيمانهم (جمع يمين بمعنى القسم والحلف) وهو فضح نواياهم وأنهم ليسوا مؤمنين حقيقة وأنهم لا يحلفون صدقا وإنما لإخفاء نواياهم السيئة ونفوسهم المريضة فيتخذون اليمين وسيلة لإخفاء كفرهم ومكرهم ، ففي كل حال وموقف وعمل يخاف المنافق من أن يفتضح أمره فيلجأ إلى الإخفاء والتخفي والتجنن والنفاق، فلماذا يتجنن المنافقون ويتخفون؟ ولماذا يتخذون أيمانهم جنة؟ يخبرنها ربنا عز وجل على سبيل التحذير أنهم يفعلون ذلك ليتمكنوا من الصد عن سبيل الله، فما معنى الصد عن سبيل الله ؟ وما هي الوسائل التي يتخذها المنافقون لتحقيق نواياهم في ذلك؟ ذلك ما سنراه في الحلقة القادمة إن شاء الله.

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :
■ داخل المغرب : 60 درهما.
■ خارج المغرب :
20 أورو أو مايعادلها.
ترسل الإشتراكات باسم :
■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014
■ أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم :
P 11329 **الرباط**.
أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :
جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات
فاس - المغرب

إشراقة

نصيحة الراعي للرعية

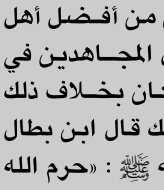

ذ. عبد الحميد صادوق

عن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مامن عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»(متفق عليه)، في رواية : «فلم يحطهابنصحه لم يجد رائحة الجنة» وفي رواية لمسلم : «ما من أمير يلي أمور المسلمين، ثم لا يجهد لهم، وينصح لهم، إلا لم يدخل معهم الجنة» السلطان هو صاحب المسؤلية الأولى في إقامة الدين، ونشر تعاليمه، وتنفيذ أحكامه، وتدبير شؤون المسلمين وفق شرع الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فالمقصود الواجب بالولايات : إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا.. ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول : إنما أبعث بعمالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، ويقيموا بينكم دينكم.... فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان، كان من أفضل أهل زمانه، وكان أفضل المجاهدين في سبيل الله(1)، وإذا كان بخلاف ذلك أوقع نفسه في المهالك قال ابن بطال رحمه الله تعالى، قوله ﷺ : «حرم الله عليه الجنة» هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إلى الطلب بمظالم العباد «يوم القيامة» ومعنى حرم الله عليه الجنة : أي أنفذ الله عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين.

فإذا لم يحط رعيته بنصحه ووعظه وإرشاده فقد أخل بأهم وظائفه وقد جاء في تبويب البخاري ما يفيد أن وعظ الإمام للرعية من أهم وظائفه حيث قال : «باب وعظ الإمام للخصوم» ثم ذكر وعظ النبي ﷺ للخصوم حيث قال ﷺ : «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار»(رواه البخاري). وقال الأصمعي لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين عجل عليك الشيب، قال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة؟ فهذه هي طبيعة وظيفة السلطان في الإسلام السعي في النصح لإخراج الرعية من عار الجهل والضلال، وإنقاذهم من ذل الفقر والتأخر، فإن لم يفعل فقد غشهم وظلمهم ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

1- السياسة الشرعية ص .30

هجرة الرسول ﷺ

تعقيبات ومُستفادات 3/1

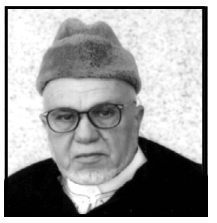

ذ. المفضل فلواتي

تعقيبات

● **أ- التمهيد والإعْدادُ للهجرة :**

قد نقَل الدكتور علي محمد محمد الصلابي عن الأستاذ صالح الشامي في كتابه "السرة النبوية تربية أمّة وبناءُ دوْلَة" كلاماً نفيساً في صَدَد الإعداد والتمهيد للهجرة نقتبسُ منه بتصَرُّفٍ ما يلي :

إنّ الإعدادَ للهجرة شملَ إعدادَيْن :

أولهما : إعْدادُ المهاجرين :

لمْ تَكُن الهجرة نُزهة، أو رحلة يروِّح فيها الإنسانُ عن نفسه، ولكنّها مُغادَرة الأرض والأهْل، ووشائج القُرْبَى، ومُغادرةُ الصّداقَة والمودَّة وأسباب الرِّزْق، والتّخَلّي عن كُلّ ذلك من أجْل العقيدة.

ولهذا احتاجَتْ الهجْرةُ إلى جُهْدٍ كبير حتى وصلَ المهاجرون إلى قنَاعَة كَاملَة بهذه الهجْرة للأرض والأهْل والأمْوال والسّكَن والراحة والاسْتَقْرار إخلاصاً لله تعالى وطاعة لأمْره.

أمّا الوسائلُ المُسْتعْمَلَة في تَسْهيل الاقتناع بالهجْرة فتمثّلتْ على هذا الشّكْل :

● التربيةُ الإيمانيةُ العميقةُ على جَعْل محبّة الله عز وجل فوْق كل حُبٍّ، والتّربية على اعْتبَار المُصيبَة في الدّين هي المُصيبَةَ، وجَعْل الفَوْز بالدِّين هُوَ الفوْز ولوْ ضَاعَ كُلّ شيْءٍ في سبيله لأن الدّين هو الربحُ الحقيقيُّ دُنيا وأُخرى.

● الاضْطهادُ الذي أصابَ المومنين حتى وصَلُوا إلى قناعة كاملَة بعَدَم إمْكانيّة التعايُش مع الكُفْر الحَاكم المُهَيْمن.

● تَنْويهُ القرآن المَكّي بالهجْرة، ولَفْت النّظر إلى أنّ أرض الله واسعةٌ، قال تعالى : ﴿**قُلْ يا عبَاد الذين آمَنُوا اتّقُوا ربَّكُمْ للذين أحْسَنُوا في هذه الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وأرْضُ اللّه واسعَةٌ إنّمَا يوَفّى الصّابرُون أجْرهُم بغَيْر حسَاب**﴾(الزمر : 10).

وجاء في سورة الكهف قصةُ الفتْية الذين آمَنُوا بربِّهم، فلم يستطيعوا العَيْش مع الكُفْر الحاكم المُهَيْمن، فهَجَرُوا قوْمَهُم فرحمَهُم اللّه بالكَهْف مَلاذاً آمناً، حيْثُ أثْنَى اللّه عزّ وجلّ على ثبَاتهم على إيمانهم، وهجرتهم قوْمَهُم في سبيله ﴿**إنّهُم فتْيَةٌ آمَنوا بربِّهم وزدْنَاهُم هُدى وربَطنَا على قُلُوبهم إذْ قَامُوا فقَالُوا : ربُّنَا ربُّ السّمَاوات والارض لنْ ندْعو من دُونه إلَهاً لقدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً هؤلاء قوْمُنَا اتّخَذُوا من دُونه آلهةً لوْلاَ يأتُون عليهم بسُلْطان بيّن فمَن أظْلم ممّن افْتَرى على اللّه كَذباً وإذ اعْتزَلْتُمُوهم وما يعْبُدُون إلاّ اللّه فأوُوا إلى الكَهْف..**﴾(الكهف : 17).

بلْ أكْثَر من ذلك أن آيات صَريحةً نزلتْ في سورة النّحْل تُرغّبُ في الهجرة وتعدُ أصْحابها بالدرجات العُلَى في الدّنْيَا والآخرة، قال تعالى : ﴿**والذينَ هاجَرُوا في اللّه منْ بعْد ما ظُلمُوا لنُبَوئَنّهُم في الدّنيا حسَنَةً ولأجْرُ الآخرَة أكْبَرُ لوْ كَانُوا يعْلَمُون الذين صَبَرُوا وعلَى ربِّهم يتوَكّلُون**﴾(41-42).

وفي أواخر سورة النحل أيضاً جاء قول الله تعالى ﴿**ثمّ إن ربّك للذينَ هَاجَرُوا من بعْد ما فُتنُوا ثُمّ جاهَدُوا وصَبَرُوا إن ربّك منْ بعْدها لَغفُور رحيم**﴾(110).

ثانيهما : الإعْدادُ في يثْرِبْ :

من جهة الإعداد في يثرب نلاحظُ : أن الرسول ﷺ لم يُسَارِع بالانتقَال إلى الأنصار من الأيّام الأولى، وإنما أخّر ذلك لأكْثر من عامَيْن، حتى تأكّدَ من وجُود القاعدة الواسعة نسْبيّاً، كما كان في الوقتَ نفسه يتمُّ إعدادُهَا في أجْواء القرآن الكريم، وخاصةً بعد انتقال مُصْعَب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينَة.

وقد تأكّد أن الاستعداد لدَى الأنْصَار قدْ بلَغَ كمالَهُ وذلك بطَلَبهم هجْرة الرسُول الكريم إلَيْهم.

كما كانتْ المناقشاتُ التي جرَتْ في بيْعة العقَبَة الثّانية تؤَكّد الحرْص الشديد من الأنصار على تأكيد البيعةَ والاسْتيثاق للنبي ﷺ بأقْوَى المَواثيق على أنفسهم، وكان في رغْبتهم أن يَميلُوا بأسْيافهمْ على أهْل منًى لينتَقمُوا ممّن آذى الرسُول ﷺ، ولكنَ الرسول ﷺ قال لهم «**لمْ نُؤمَرْ بذلك**».

وهكذا تم الإعداد لأهل يثرب ليكُونُوا قادرين على اسْتقبال المهاجرين وما يترتّب على ذلك من تَبعات(1).

القرآن عربيٌّ مُبين، والرسالةُ أرادَها الله تعالى أن تكون إسلاميّةً عربيّةً أولاً، ثم إسْلاميّة كوْنيّةً ثانياً، ولا يصْلُح غَيْرُ العَرب ليسْتوْعبُوا فهْمَ لغة القُرآن ودقائق إعجازه البَياني والتشريعيّ، والعلميّ، والفقهيّ، والحضاريّ، والإنساني...

ب- يوْم بُعَاث كان من التهيئيات الربانية لرسول الله ﷺ :

لقد كان يوْمُ بُعاث -موضع بقُرب المدينة- يوْم موقعة عظيمة بين الأوْس والخزْرج، حيثُ قُتل فيه خلق كثير من أشراف الأوس والخزْرج وكُبرائهم، ولمْ يبْقَ من شيوخهم إلا القليلُ، وقد كان الغَلَبُ فيه للأوس على الخزْرج.

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الوقعة العظيمة قبْلَ مقْدَم النبي ﷺ المدينَةَ لتَتَهَيّأ النفوسُ لقَبُول الإسلام والإيمان بالنبي، وليَظْهَرَ فَضْلُ الإسلام على الأنصار، فقد جمعَهُم الله بعْد الفُرقة، وغرَسَ في قلوبهم المحبّة بعد العداوة، والوئامَ بعْد الشّقاق، تصديقاً لقول الله تعالى : ﴿**واذْكُرُوا نعْمة اللّه عليْكُم إذْ كُنْتُم أعْداءً فألّف بيْن قُلُوبكُمْ فأصْبحْتُم بنعْمته إخْواناً وكُنْتُم على شفَا حُفْرة منَ النّار فأنْقَذَكُمْ منْها كذلك يُبَيّن اللّه لَكُم آياته لعَلّكُم تهْتدُون**﴾(آل عمران : 103).

روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها، قالت : «**كان يومُ بُعاث يوْماً قدّمَه الله لرسوله، قدمَ رسُولُ الله ﷺ المدينَة -وقد افْترقَ مَلأهم- رؤساؤهم -وقُتل سراتُهم -أشرافهم**» أي إزاحةُ ملإ الكُفْر كان من أعْظم الأسْبَاب المُهيِّئة لقبول الأنصار الإسلام بشَوْق وحرْص(2).

جـ- تعْيينُ دار الهجرة :

كان النبي ﷺ قد رأى فيما يرَى النائم أنّهُ هاجَر من مكة إلى أرض بها نخْلٌ، فذَهَبَ ظنُّه إلى أنها اليَمامة أو هجَرَ -بلدٌ بالبَحْرين- ثُمَّ استبَانَ لَهُ أنها المدينَةُ، ففي صحيح البخاري عن النبي ﷺ «**أُريتُ دَارَ هجْرتكم، ذَات نخْل بيْن لابَتَيْن**» وهما الحَرّتَانِ(3).

فخرج النبي على أصحابه مسروراً بعد هذه الرّؤية، وقال «**قَدْ أُريتُ دَارَ هجرتكم، وهي يثرب، فمن أراد أن يخرج فلْيَخْرُج إليها**».

وقال أيضا : «**إن الله عز وجل قدْ جَعَل لكُمْ إخْواناً وداراً تأمَنُون بها**» فبدأ الصحابة يخرجون إليها أرْسالاً وفرادى(4).

د- رؤُوسُ الكُفْر المحاصِرُون للنبي ﷺ ليْلة الهجْرة :

إنّهُم : أبو جهل، والحكم بن العاص، وعُقبة بن أبي مُعَيْط، والنّضْر بن الحارث، وأميّة بن خلف، وزمْعة بن الأسود، وطُعَيْمة بن عَدي، وأبو لَهَب، وأبيّ بن خلَف، ونَبيه ومُنَبِّه ابْنا الحجاج. وأغْلبُ هؤلاء دارت الدائرة عليهم في بدْرٍ لتنْقيَة أرْض الإنسانية من شرورهم(5).

المستفادات :

1- أسبابُ اختيار المدينة مكاناً للهجرة :

إن الرسول ﷺ قال للمسلمين حين دعاهم للهجرة للحبشة : «**إنّ بها ملكاً لا يُظْلمُ عنْده أحدٌ**» أما عند الهجرة للمدينة، فقال لَهم : «**إن اللّه قد جَعل لكُمْ إخواناً وداراً تأمنُون فيها**».

وفرقٌ كبيرٌ بين الكلمتين والنّظرتيْن للمكان، فهناك المكَانُ الصالحُ لتوْفير الأمن والحماية للمهاجرين فقط، وهناك المكانُ الصالحُ لإقامة دوْلة الدّعوة، ودوْلة الرسالة، ودوْلة الحق للانْطلاق لتكْسير دُول الباطل، ورُموز الباطل، لتغيير التاريخ، وتَغيير وجْه الحضارة الماديّة القائمة على تأليه الأصنام البشرية، ولإقامة دعائم الحضارة الأخلاقية القائمة على تأليه الله المعْبود بحقٍّ، والمُشرِّع للإنسان كُلَّ طرُق الخير والعَدْل والإحْسان للإنسان والحيوان وبيئة الإنسان والحيوان، حتى يعيش الإنسانَ مُكَرّماً في حياته أتمّ تكريم، وينتقل إلى مستقَرّه الأخرويّ مُشيّعاً بكلّ حَفَاوة التوديع والتهْييء للقاء ربّ الأرْباب الذي يأمر ملائكة رحْمته بزفّه للحُور العين في غُرَف من فوقها غرف تجري من تحتها الأنهار، وتحيط بها البساتين والأشجار.

فالحبشَة -مهْما وفّرتْ الأمن للمهاجرين- لا تصْلُح مكانا لإقامة الدّولة الجديدة، لأنها :

● أرضٌ غيرُ عربيّة، والقرآن عربيٌّ مبين، والرسالةُ أرادَها الله تعالى أن تكون إسلاميّةً عربيّةً أولاً، ثم إسْلاميّة كوْنيّةً ثانياً، ولا يصْلُح غَيْرُ العَرب ليسْتوْعبُوا فهْمَ لغة القُرآن ودقائق إعجازه البَياني والتشريعيّ، والعلميّ، والفقهيّ، والحضاريّ، والإنساني...

فالعربُ هُمْ الذينَ هَضَمُوا رُوحَ القرآن وجَسّمُوه عملاً ينْطق بالتمثّل المُعجز، والسُّلوك المُعجز، والعَدْل المعجز المُبهر... وبذلك سهّلُوا على غيرهم -من غير العرب- أن يفهَمُوا القُرآن من الأعْمال والأحوال قبْلَ الأقوال.

● ثم إن الأحباشَ نصَارى يعتقدون أنهم على دين سماويّ يُغْنيهم عن دين سماويّ آخر. وهدْمُ ما عندهُم من المفتريات يحتاجُ إلى جُهد كبير وزمن طويل ليسا مضْمُونَي النتائج.

أما المدينة فهي صالحة لإقامة الدولة بكل المقاييس :

■ فهي عربيّة أولا : فالقرآن النازل بلسان عربيّ مبين يفْهَمُه المكيُّون واليثربيُّون على حدٍّ سواء.

■ وشبّانُها وكبراؤها ونساؤها أكثرُهم آمَن بالإسلام ثانيا : فإيمانهم أعظمُ حصْنٍ جماعيٍّ لتوفير الحماية والأمن للمهاجرين، فالنجاشيُّ -وإن وفّر الحماية والعدْل- فهو لا يعْدُو أن يكون فرداً، مُعرضاً للثورة عليه، وقد ثارتْ الحبشة عليه فعْلا، غضباً من إيوائه للمسلمين، وتشكيكا في عقيدته.

■ ثم المدينة تحتل موقعا حساساً بالنسبة لمكة ثالثا : إذْ هي قادرةٌ على خنق مكة اقتصادياً لأن طريق قوافل قريش التجارية عليها، والتجارة عصَبُ الحياة لقريش.

إذن فالمدينة صالحة لإقامة الدولة سياسيا واقتصاديا وجهاديا وأمنيا وجغرافيا.

وها هي الأصنامُ البشريّة العالمية اليوم بدأت تترنَّحُ وتتهَيّأ للسُّقوط، ولكن المشكلة اليوم أين هُوَ المكان الصالحُ لإعلان النداء العالميّ الخالد : ﴿**جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطلُ إنّ البَاطلَ كانَ زَهُوقاً**﴾.

1- السيرة النبوية للصلابي 414/1 وما بعدها بتصرف.
2- انظر السيرة النبوية لأبي شهبة .432/1.
3- اللاّبة والحرَّةُ : أرض ذات حجارة سُود نخِرة، والمدينة بين حرّتَيْن.
4- السيرة النبوية لابي شهبة .458/1.
5- فقه السيرة من زاد المعاد .87.

ندوة تكريمية للأستاذة أمينة المريني

تعلن جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء - كلية الآداب والعلوم الإنسانية. عين الشق- مجموعة البحث في اللغة العربية ورابطة الأدب الإسلامي العالمية - المكتب الإقليمي في المغرب -لجنة الأديبات وتكامل العلوم والمعارف.

أنهما ستنظمان ندوة علمية في موضوع : "الكتابة النسائية، الدلالة والتعدد " تكريما للشاعرة أمينة المريني، يومي: 11 و 12 نونبر 2009م، ويتضمن برنامج الندوة أربع جلسات خصصت لمدارسة قضايا الكتابة النسائية من حيث المفهوم والخصائص والمجالات والرؤية، كما خصصت أيضا لتسليط الأضواء على التجربة الشعرية للأستاذة أمينة المريني.

إعلان

في إطار الاهتمام بالقرآن الكريم تحفيظا وتجويدا وتفهيما؛ يعلن المجلس العلمي المحلي لفاس عن فتح مركز يوسف بن تاشفين للقرآن الكريم -ساحة بئر أنزران جوار المجلس العلمي، الأطلس، فاس في وجه الناشئة ذكورا وإناثا.

فعلى الراغبين في تسجيل أبنائهم الاتصال بالمركز المذكور طيلة أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة من الساعة التاسعة صباحا إلى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا.

وسيبتدئ التسجيل يوم الخميس 03 ذي القعدة 1430 الموافق 22 أكتوبر .2009

الرئيس.

حقوق الجوار بين الشرع والواقع

ذ. عبد اللطيف احميد الوغلاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه..

أما بعد : عباد الله : اتقوا الله حق التقوى واعلموا أن المؤمن الصادق في إيمانه، يراقب ربه، ويخاف عذابه، ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، وذلك باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، يتسابق إلى الخيرات، ويتجنب المنكرات، يحب في الله، ويُبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي في الله، يطيع ويستجيب لما أمر وينتهي عما نهاه، ألا وإنّ مما أمر الله به سبحانه وحث عليه رسوله ﷺ عليه حفظ الجوار، ومعرفة حقه، والقيام به، امتثالا لأمر الله سبحانه القائل في كتابه الكريم : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب..﴾(النساء : 36) وقد قال رسول الله ﷺ : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(متفق عليه).

أيها المسلمون : لقد عظم الإسلام حق الجار، وذلك بنفي الإيمان عمن لم يحترم جاره ويحفظ حقوقه ودون إذَايَة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل : ومن يا رسول الله؟ قال : «الذي لا يأمن جاره بوائقه»(رواه البخاري ومسلم) «قلنا يا رسول الله : وما بوائقه؟» قال : «غشه وظلمه». وقد حض النبي ﷺ على الاحسان إلى الجار وإكرامه : فقال : «... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» وعند مسلم «فليحسن إلى جاره». بل وصل الأمر إلى درجة جعل فيها الشرع الحنيف محبة الخير للجيران من الإيمان، قال ﷺ : «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه». والذي يحسن إلى جاره هو خير الناس عند الله تعالى : فقد جاء في الأثر : «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» والجار أيها المسلم الكريم هو من جاورك، سواء كان مسلماً أو كافراً، وأما حدُّ الجوار فقد تعددت أقوال أهل العلم في بيان ذلك، ولعل الأقرب -والله أعلم- أن ما تعارف عليه الناس أنه يدخل في حدود الجوار فهو الجار. ومن ثم فإن البعض من الناس يظن أن الجار هو فقط من جاوره في السكن، ولا شك أن هذه الصورة هي واحدة من أعظم صور الجوار، لكن لاريب أن هناك صوراً أخرى تدخل في مفهوم الجوار، فهناك الجار في العمل، وفي السوق، وفي المزرعة، وفي الدراسة وفي المكتب وفي الإدارة إلى غير ذلك من صور الجوار. وبناء على هذه الصور والمراتب فقد جعل الإسلام لكل منها حقوقاً تختلف باختلاف نوع الجوار. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق ومنهم من له حقان ومنهم من له حق واحد، فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فجارك القريب المسلم، وأما الجار الذي له حقان فجارك المسلم، وأما الذي له حق واحد فجارك الذمي» يعني إذا كان الجار من أهل قرابتك وهو مسلم فله عليك حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار. وأما إذا كان جارك من المسلمين فله عليك حق الجوار وحق الاسلام. وإن كان جارك ذميا فله حق الجوار.

عباد الله : لقد صان الإسلام حقوق الجار نحو جاره وحذر من أذيته وطالب بحفظ حقوقه. وذلك تحقيقاً للألفة والمحبة وحصول المودة بين أفراد الأمة، فقد كان عليه الصلاة والسلام وهو الأسوة والقدوة في كل أنواع البر والإحسان، يزور جيرانه مهما كان نوعهم ومهما كانت عقيدتهم، ويجيب دعوتهم إذا دعوه، ويحسن جوارهم، ويتصدق عليهم تطوعاً ويأمر ويوصي أصحابه الكرام بذلك. ولذا أمر ﷺ بإهداء الجار ما تيسر من الطعام، فقد قال أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه أوصاني خليلي محمد ﷺ بثلاث قال : اسْمَعْ وأَطِعْ ولو لعبد مجذوع الأنف، فإذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمرقتك وصلِّ الصلاة لوقتها». وفي رواية للإمام أحمد رضي الله عنه أنه ﷺ قال : «يا أبا ذر إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءها وتعهد جيرانك».

أخي المسلم : لا شك أن للجار على الجار حقوقاً كثيرة يمكن إجمالها في النقط التالية، وهي :

1- رد السلام عليه وإجابة دعوته إذا دعاك لمناسبة أو غيرها.

وهذه وإن كانت من الحقوق العامة للمسلمين بعضهم على بعض، إلا أنها تتأكد في حق الجيران لما لها من آثار طيبة في إشاعة روح الألفة والمودة.

2- كف الأذى عنه : وهذا الحق من أعظم الحقوق، لأن الأذى وإن كان حراماً بصفة عامة بين المسلم وأخيه المسلم وحتى غير المسلم، فإن حرمته تشتد إذا كان متوجهاً إلى الجار. ومن ثم فلا يجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤذي جاره بأي وسيلة من وسائل الأذى : كسَبِّه أو تتبع عوراته، أو التضييق عليه في الدخول والخروج أو عند وقت الراحة أو النوم خاصة إذا كان المسكن ومدخله ومصعده مشتركاً كسكنى العمارات والإقامات السكنية. فلا يجوز الإساءة له ولأهله وأولاده، أو طرح القمامات والأزبال عند بابه، أو صب الماء أمام داره أو في شرفة التهوية حيث يتأذى بذلك، أو رفع الجدار عليه بالبناء ليحجب عنه النور والهواء، أو بِفَتْحِ النوافذ إلى بيته والاشراف منها ليكشف عورته ويهتك حرمته ويعتدي على أسراره.

أيها المسلمون : إن إذاية الجار بهذه الأنواع أو أحدها أو بغيرها يدل على عدم الإيمان الصادق بالله وبرسوله ﷺ ويدل على سوء الخلق، ويحبط ثواب الأعمال الصالحة.. فكن أخي المؤمن خير جار، لتكون كامل الإيمان محبوباً عند الله وعند الناس، ولا تكن جار سوء فتصبح ناقص الإيمان إن لم تكن فاقداً له بالمرة. فقد جاء في الحديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره...»(رواه البخاري ومسلم) ولقد بين النبي ﷺ أن انتهاك حرمة الجار أشد وأخطر عند الله تعالى فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال ﷺ لأصحابه : «ما تقولون في الزنا؟ قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ : «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، قال : ما تقولون في السرقة؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيْسر عليه من أن يسرق من جاره»(رواه أحمد ورواته ثقات والطبراني).

3- تحمل أذى الجار : وهذه صفة، وشِيمَةٌ من شيم الكرام ذوي المروءات والهمم العالية، فقد يستطيع كثير من الناس أن يكف أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابراً محتسباً فهذه درجة عالية وأجرها عند الله عظيم، قال تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾(المؤمنون : 96) ويقول سبحانه وتعالى : «ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾(الشورى : 43) وقد ورد عن الحسن البصري -رحمه الله- قوله : «ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار».

لاريب أن هناك صوراً أخرى تدخل في مفهوم الجوار، فهناك الجار في العمل، وفي السوق، وفي المزرعة، وفي الدراسة وفي المكتب وفي الإدارة إلى غير ذلك من صور الجوار. وبناء على هذه الصور والمراتب فقد جعل الإسلام لكل منها حقوقاً تختلف باختلاف نوع الجوار

4- وإن من حقوق الجوار، الرفق معهم وبهم، وإسداء الخير والمعروف لهم، وإظهار السرور فيما يسرهم، وتعزيتهم بمصيبتهم، وعيادة مريضهم، وتفقد أحوالهم وملاطفتهم، والاحسان إلى صغيرهم وكبيرهم، بالقول اللّين، والبشاشة، وبذل ما تقدر عليه، من مساعدتهم بمالك وجاهك ولسانك، أسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً لما فيه الخير والصلاح إنه سميع مجيب، نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبسنة رسوله الكريم وأجارني وإياكم من عذابه المهين آمين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله العلي الكبير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، نحمده سبحانه، ونشكره على جوده وكرمه، وسابغ نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد :

عباد الله : ونظراً لأهمية الجوار ولمَا لَهُ من حُرمة كبرى عند الله تعالى، فإن الله سبحانه جعل أول الفصل في الخصومات يوم القيامة بين الجيران، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أول خصمين يوم القيامة جاران»(رواه أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما جيد).

وقد شكا رجل جاره لرسول الله ﷺ فأمره بالصبر على أذاه مراراً إلى أن أمره بأن يطرح متاعه في الطريق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال له : «اذهب فاصبر»، فأتاه مرتين أو ثلاثا، فقال : «اذهب فاطرح متاعك في الطريق» ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنونه فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال : ارجع، فإنك لن ترى مني شيئاً تكرهه»(رواه أبو داود). ونظراً لأهمية حسن الجوار فإن أي عمل صالح لا ينفع مع سوء الجوار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله إن فلانة تكثر صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها؟ قال : «هي في النار»، قال : يا رسول الله، فإن فلانة يُذْكَرُ من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقِطِ ولا تؤذي جيرانها؟ قال : «هي في الجنة»(رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال صحيح الإسناد).

أيها المسلمون : إنه يجب على كل مسلم أن يتفقد أحوال جاره ويسأل عن أحواله فإن كان مريضاً عاده، وإن كان جائعاً أطعمه، وإلا كان إيمانه في نقص، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»(رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن). واعلموا رحمكم الله أنه ﷺ أخبرنا بأن خير الجيران أنفعهم لجاره، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»(رواه الترمذي).

ولقد جعل الإسلام هذه الحقوق التي سبق ذكرها للجار حرصاً منه على تَقْوية العلاقات الطيبة بين المسلمين بعضهم مع بعض، وتوطيداً للروابط الانسانية بينهم وبين غيرهم من سائر الجيران، تحقيقاً لسعادة المجتمع كله وتمتين روابطه الأخوية، وشيوع المحبة بين أبنائه، هذا وإن هذه المقاصد والغايات لا تتحقق إلا بحفظ تلك الحقوق والصبر على الأذى والخصومات وغيرها مما حثت عليه الشريعة وأقرته. وإن الناظر والمتأمل في واقع كثير من الناس ليدرك حقاً القصور الشديد في هذا الجانب حتى إن الجار قد لا يعرف اسم جاره الملاصق له في السكن، وحتى إن بعضهم ليغصب حق جاره، وإن بعضهم ليخون جاره ويعبث بعرضه وحريمه، وبناته، وأولاده، وهذه الأفعال والله إنها لمن أكبر الكبائر، فقد سئل النبي ﷺ : أي الذنب أعظم؟، فعد من الذنوب العظام : «أن تزاني حليلة جارك».

فاتقوا الله عباد الله ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾(البقرة : 281).

نسأل الله تعالى أن يعيننا والمسلمين على القيام بحقوق الجوار حتى نفوز بمعيته ونحظى بولاته. نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم -الدعاء

أسئلة محيّرة

ماهية الذّات الإلهية

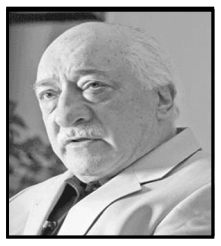

ذ. محمد فتح الله كولن

السؤال: ما جوهر الألوهية وماهيتها؟

الجواب : لا يشبه الله أي شيء من مخلوقاته سواء الحقيقي منها أو النسبي. فهذا الإنسان الذي يعيش في هذا العالم المحدود لا يكون فكره ونظره وأحاسيسه إلا محدودة أيضاً.

أجل! فنسبة ما يراه في هذا العالم يبلغ فقط خمسة في المليون تقريبا، وكذلك نسبة ما يسمعه. فمثلاً لا يستطيع أن يسمع صوتاً اهتزازه 40 تردد في الثانية. كما إذا تجاوز هذا التردد الآلاف فلن يسمع أيضاً. إذن فحاسة السمع عند الإنسان محدودة، ولا تدرك هذه الحاسة إلاّ نسبة صغيرة في المليون. كما أن مجال بصره وسمعه محدودان جداً. إذن كيف يستطيع هذا الإنسان المحدود في علمه وبصره وسمعه أن يتجرأ ويسأل: لماذا لا يرى الله؟ وكيف هو؟ إن طرح الإنسان مثل هذا السؤال ومحاولته نَسبَ الكمية والكيفية لله تعالى أو محاولة التفكير في ذاته جرأة وتجاوز للحد.

فمن أنت أيها الإنسان وماذا تعلم أصلاً لكي تتجرأ وتحاول إدراك الله تعالى؟ إن الله تعالى منزه عن الكيف والكم، وهو منزه عن أن تحيط به مقاييسك الناقصة. فلو سافرت بسرعة الضوء تريليون سنة إلى عوالم أخرى ثم راكمت تلك العوالم بعضها على بعض لما بلغ ما شاهدتَه بالنسبة إليه تعالى ذرة أو هباءة.

وعندما نكون عاجزين حتى عن معرفة قارة "أنترتيكا"(1) فكيف يتسنى أن نحيط علماً بجوهر وبماهية الله جل جلاله خالق الكون والمكان ومدبرهما؟ حاشا لله، فالله تعالى لكونه هو الله مقدس ومنزه عن الكيف والكم. فهو فوق كل تصور من تصوراتنا وكل تخيل من تخيلاتنا.

يقول علماء الكلام: "وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك". أما المتصوف فيقول: "ما خطر ببالك فهو وراء وراء وراء ذلك. فأنت محاط بالحجب وكأنك داخل فانوس". يقول "ديكارت": "الإنسان محدود من جميع جوانبه، والمحدود لا يستطيع التفكير في اللامحدود"، فوجود الله تعالى وجود غير محدود ولانهائي، لذا لا يستطيع الإنسان القاصر والمحدود أن يحيط به. يقول الأديب الألماني "جوته": "يذكرونك بألف اسم واسم، أيها المجهول الموجود! لو ذكرتك لا بألف اسم بل بآلاف الأسماء لم أستطع أن أوفي حقك في الثناء، لأنك وراء وفوق كل وصف".

يرى المفكرون أن الله موجود ولكن وجوده لا يدرَك، فليس الله من الأمور التي يمكن للأذهان الإحاطة بها. فالعين لا تستطيع رؤيته والأذن لا تستطيع سماعه. إذن فما عليك إلاّ أن تتبع تعاليم الأنبياء في حقه وتؤمن به.

كيف يمكن أن يتم إدراك الله تعالى الذي هو المبدأ الأول والعلة الأولى للوجود وللعلم. وجودنا ظل من نور وُجوده، وعلمنا نفحة من علمه الإلهي المحيط بكل شيء. أجل هناك في مستوى ما طريق لمعرفة الله تعالى والوصول إلى اكتساب مرتبة العرفان، ولكن هذا الطريق ليس الطريق الاعتيادي لمعرفة الأشياء، بل طريق مختلف تماماً. والذين يحاولون معرفة الله بسلوك طريق منحرف هم قسم من البؤساء الذين لم يستطيعوا التغلب على غرور النفس، ولم يعرفوا الإلهام الباطني، ولم يذوقوه. لذا تراهم يقولون: "لقد فتشتُ عن الله فلم أجده". وهذا تعبير عن ضلال كبير وقول زائف باسم العلم والفلسفة.

الكون

شاهد على الله تعالى، وينطق بذلك بألف لسان ولسان، والقرآن يقوم بهذا التذكير بأبلغ لسان، ورسولنا هو أبلغ رسول وأكمله

الله تعالى هو الإله الذي يظهر نفسه في الآفاق وفي أنفسنا في أثناء معراج الروح والقلب إليه، فيرسخ مدى ضرورة وجوده في أعماق قلوبنا وأرواحنا. وهذا الإحساس الوجداني الذي هو أساس جميع علومنا أقوى من جميع علومنا القاصرة ومن جميع عقولنا وأفكارنا. ومع هذا فإننا كثيراً ما نذهل عن أجسادنا وعن هذه القابلية عندنا للحدس الداخلي فنسقط في الخطأ والضلالة.

والكون شاهد على الله تعالى، وينطق بذلك بألف لسان ولسان، والقرآن يقوم بهذا التذكير بأبلغ لسان، ورسولنا هو أبلغ رسول وأكمله. يقول الشاعر المتصوف إبراهيم حقي:(2)

«قال الحق تعالى: لا يسعني السماء والأرض منجَمُ القلب عرفه (كنزاً)».(3)

1- قارة غير مأهولة تقع حول القطب الجنوبي. (المترجم)

2- إبراهيم حقي (1703-1780): ولد في أرضروم في بلدة "حصن قلعة"، وهو من الشعراء المتصوفين. أهم كتبه "معرفتَ نامه" الذي يعد دائرة معارف في عصره. (المترجم)

3- يُروى كحديث شريف، انظر: العجلوني، كشف الخفاء، 255/2؛ وإلى معنى قريب للعبارة في الطبراني، مسند الشاميين، 19/2.

"الترجمة عن التركية: اورخان محمد علي"

الدعوة إلى الله تعالى

ذ. أحمد حُسني

ليس يكفي أن نكو ن مسلمين، بل علينا أن نكون في نفس الوقت دعاة للإسلام. وقد قامت دولة الإسلام وانتشرت دعوته في الآفاق، عندما كان هناك دعاة وقفوا حياتهم وأموالهم على الدعوة للإسلام، ثم تراجعت دولة الإسلام، عندما انصرف عامة المسلمين إلى لهو الدنيا وزخرفها، وكفوا عن الدعوة إلى الله تعالى.

إن الدعوة الإسلامية جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، لقد كان نبينا محمد ﷺ نموذجاً للداعين إلى الله في إيمانه الصادق، ودأبه وكفاحه وثباته أمام المحن والمؤامرات، وقد ظل ﷺ يدعو أهل مكة ثلاثة عشر سنة، لم يلق فيها سوى الإهانة والسخرية من أهلها، فلم يداخل قلبه اليأس، واتجه إلى الطائف فلم يلق من أهلها خيراً، ورماه سفهاؤهم بالحجارة حتى أخرجوه من ديارهم دامي القدمين، وعانى الرسول الكريم ﷺ ما عانى في سبيل دعوته، حتى لقي شباباً من يثرب (المدينة) فسمعوا منه فمالت قلوبهم إلى الحق، في الوقت الذي كانت يثرب مشغولة بالصراع الدائم، والخصومات المستمرة بين القبائل، ولكنهم ما لبثوا أن وجدوا في دعوة محمد ﷺ إلى دين الله الواحد الأحد، علاجاً لهذا المجتمع الذي مزقته الخصومات والعداوات، وجدوا في الإسلام تنظيماً محكماً للحياة، وجدوا شريعة تسمو على أهواء البشر لأنها من خالق البشر، وهكذا بدأت الدعوة لتكوِّنَ دولةً ذات كيان سياسي ونظام سياسي رفيع قوي موحّد، عزيز الجانب لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

إن الدعوة إلى الله هي سبيلنا جميعاً نحن المسلمين، وهي نجاتنا، الدعوة إلى الله الخالصة من الشبهات، المطهرة من الأحقاد، المبرأة من الأغراض الدّنيئة. إن الدعوة إلى الله ليست مطية لأحد، ولا يمكن أن تكون في خدمة أحد، إنها دعوة النبي ﷺ من أجل مجتمع فاضل، وإسلام صادق، وحياة طيبة، وهي طريق النور والعزة والكرامة والقوة.

إن رسالة الإسلام رسالة اجتماعية، رسالة تطوير المجتمع، وضبط شؤونه وإقامته على الأسس التي تحقق مصالح الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، إنها رسالة تحقق العدل والمساواة والتكافل، والمشاركة والتضحية، توجه المسلم للصدق في القول والإخلاص في العمل والوفاء بالأمانات والالتزامات، والاتصاف بجميل الخصال، فأين نحن اليوم من هذا كله، لقد نزل بالمسلمين كثير من الهوان عندما تفرقوا شيعاً وأحزاباً ودويلات، وتركوا قول الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾(آل عمران : 103) نزل بالمسلمين كثير من الضعف والهوان عندما غفل فريق منهم عن أن الدعوة الإسلامية جزء من العقيدة، عندما عجزوا عن مواصلة الدعوة إلى الله، وركنوا إلى الراحة والكسل، عندما غرقوا في الماديات وغرتهم الحياة الدنيا بملذاتها الفانية، حتى أنستهم أنفسهم ودينهم. وقد جاء زمان أبعد فيه الدين عن الحياة والمجتمع، وأُريد بالمسلمين أن يفهموا أن الإسلام عبادات فقط (صلاة، زكاة، صوم، حج) وأن العمل من أجل حياة سعيدة ومجتمع سعيد شيء آخر غير الدين، بل لا يكون من الدين في شيء. وهكذا استطاع المستعمر أن ينفرد بخيرات البلدان الإسلامية، بعلمه وعمله واجتهاده وبحثه، والمسلمون غافلون عاجزون محرومون من العمل بأمور الدنيا، والعلوم الحديثة والفكر الهادف. إن التطورات الاجتماعية الحديثة في هذا العصر لفي أشد الحاجة إلى الدراسة في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حتى نقيم معايير قوة بين العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي، وبين أوضاع المجتمع المتغيرة، وحتى تزول الفجوة الكاذبة بين الدين والحياة، إننا في حاجة إلى ثورة فكرية يقودها الدين، ولابد في سبيل ذلك من تقوية المؤسسات الدينية، وتعمير المساجد، والنهوض بالتعليم الديني، وتبادل الخبرات والبحوث، وتيسير سبل اللقاء والاتصال بين علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم.

الدعوة إلى الله تتنوع طرقها وأساليبها، فمن حفظ آية من القرآن فبلغها فقد دعا إلى الله، ومن بلّغ حديثاً نبوياً فقد دعا إلى الله، ومن أعان داعية بماله من أجل الدعوة، فقد دعا إلى الله، ومن ساهم بقلمه بنشر مقال هادف متزن فقد دعا إلى الله، ومن كان قدوة حسنة لغيره بسلوكه الحسن وأخلاقه الفاضلة، ومعاملته الطيبة، وبامتثاله لأوامر الله واجتنابه نواهيه فقد دعا إلى الله لما للقدوة الحسنة من تأثير كبير.

إن الدعوة إلى الله، والقيام بأمرها واجب على الكفاية، وقد دلت نصوص من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله على كل مسلم ومسلمة، كل حسب قدرته ووسعه وموقعه. قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(آل عمران : 104)، وقال تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل : 125). وقال ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»(رواه البخاري).

وقال ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»(رواه مسلم).

والدعوة إلى الله تتنوع طرقها وأساليبها، فمن حفظ آية من القرآن فبلغها فقد دعا إلى الله، ومن بلّغ حديثاً نبوياً فقد دعا إلى الله، ومن أعان داعية بماله من أجل الدعوة، فقد دعا إلى الله، ومن ساهم بقلمه بنشر مقال هادف متزن فقد دعا إلى الله، ومن كان قدوة حسنة لغيره بسلوكه الحسن وأخلاقه الفاضلة، ومعاملته الطيبة، وبامتثاله لأوامر الله واجتنابه نواهيه فقد دعا إلى الله لما للقدوة الحسنة من تأثير كبير. ومن شأن المسلم المؤمن أن لا يتقاعس عن الدعوة إلى الله، والمسارعة إلى فعل الخير، والدعوة إلى الله خير وبركة. قال تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾(فصلت : 32).

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المسارعين إلى الدعوة إلى الله، السابقين إلى فعل الخير.

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله.. ﴾

دور القوى الكبرى في نشأة (إسرائيل) وتوسعها (6)

دور الأنظمة العربية في قيام (إسرائيل) وتوسعها

الأخيرة

ثانيا : صناعة النكبة العسكرية

بقلم : نبيل شبيب
كاتب فلسطيني

عالمنا المعاصر مثالا واحدا على بقاء القيادات المهزومة في مواقعها، إلا في البلدان العربية، بينما قد تصل محاسبة المنهزمين إلى مستوى ما عرف عن محاكمات نورنبيرج بعد الهزيمة الألمانية في الحرب العالمية الثانية، أو إلى حد أدنى يشمل السقوط السياسي عبر الانتخابات كما كان مع المسؤولين الأمريكيين بعد فيتنام، وفي الأصل فهذا الذي نذكره قضية بديهية لا تحتاج إلى نقاش أو تعليل، إذ كيف يُنتظر أن يُصنع النصر على أيدي من صنع الهزيمة وهو مصر على الطريق التي أدت إليها، أم أن مصائر الشعوب والبلدان والقضايا التاريخية ساحة للتجارب المتعاقبة ولو كانت نتائجها من حجم كوارث 48 و 56 و67م.

في مستوى الخيانة

سجل تاريخ الجولات العسكرية على أرض قضية فلسطين عددا كبيرا من الأحداث التي لم يتردد المؤرخون والمفكرون من مختلف الاتجاهات عن الاستشهاد بها كخيانات أدت إلى هزائم عسكرية أو ساهمت في وقوعها. ومن العناوين المعروفة على هذا الصعيد دور الملك الأردني عبد الله، والأسلحة الفاسدة على الجبهة المصرية، وتشجيع القيادات العسكرية العربية على تهجير أبناء فلسطين بدعوى تفريغ الساحة للقتال، وردود جامعة الدول العربية على عبد القادر الحسيني وأقرانه وهم يطلبون الدعم العسكري. كما تردد شبيه ذلك ولكن بحذر أكبر له أسبابه الواضحة، وأحيانا بأسلوب المهاترات التي تضعف قيمته بعد أن عم الفساد وأصبحت الخيانات بطولات، وعمليات التسليم مآثر في صنع السلام. تردد شبيه ذلك في تفسير ضرب الطائرات المصرية في مطلع حرب 1967م، وإعلان سقوط الجولان قبل سقوطها عسكريا، وتضييع بطولات العبور بأهداف كسر الحواجز النفسية والسياسية، وغير ذلك مما اعتادت المصطلحات العسكرية على وصفه بالخيانة.

ولا تخلو معركة تاريخية من وقوع خيانات عسكرية جزئية وخطيرة، لاسيما عندما تتطاول جولات القتال عشرات السنين، ولكنها لا تمثل عادة السبب الجوهري الرئيسي لوقوع الهزيمة بالفعل.

إن الهزائم العسكرية كانت نتيجة مباشرة للسياسة الرسمية المتبعة ونوعية مخططاتها التعبوية والأمنية ومحتواها وأساليب تنفيذها، وكانت نتيجة مباشرة لبقاء المسؤولين عن الهزائم في مواقعهم ليصنعوا مزيدا منها، كما كانت نتيجة مباشرة لخوض الحروب الأكبر على الساحات الداخلية ضد الشعوب، وعلى الساحات الجانبية في ظل التجزئة والنزاعات العربية، وهذا بمجموعه هو ما يهبط بالسياسة العربية إلى حضيض الخيانة -مهما كانت النوايا- وهي خيانة للقضية المشتركة وللبلدان العربية نفسها في حاضرها ومستقبلها.

إن أي بلد يتعرض لهزيمة عسكرية من حجم النكبة الأولى عام 48 أو الثانية عام 67م، لا يمكن أن يستعيد مكانه على الخارطة الإقليمية والعالمية إذا بقيت القيادات السياسية والعسكرية المسؤولة عن الهزائم في سدة السلطة ومواقع التخطيط والقرار والتنفيذ، ولا نكاد نجد في واقع أحداث

لا تخلو معركة تاريخية من وقوع خيانات عسكرية جزئية وخطيرة، لاسيما عندما تتطاول جولات القتال عشرات السنين، ولكنها لا تمثل عادة السبب الجوهري الرئيسي لوقوع الهزيمة بالفعل.

إن الهزائم العسكرية كانت نتيجة مباشرة للسياسة الرسمية المتبعة ونوعية مخططاتها التعبوية والأمنية ومحتواها وأساليب تنفيذها، وكانت نتيجة مباشرة لبقاء المسؤولين عن الهزائم في مواقعهم ليصنعوا مزيدا منها، كما كانت نتيجة مباشرة لخوض الحروب الأكبر على الساحات الداخلية ضد الشعوب، وعلى الساحات الجانبية في ظل التجزئة والنزاعات العربية، وهذا بمجموعه هو ما يهبط بالسياسة العربية إلى حضيض الخيانة -مهما كانت النوايا- وهي خيانة للقضية المشتركة وللبلدان العربية نفسها في حاضرها ومستقبلها.

إن أي بلد يتعرض لهزيمة عسكرية من حجم النكبة الأولى عام 48 أو الثانية عام 67م، لا يمكن أن يستعيد مكانه على الخارطة الإقليمية والعالمية إذا بقيت القيادات السياسية والعسكرية المسؤولة عن الهزائم في سدة السلطة ومواقع التخطيط والقرار والتنفيذ، ولا نكاد نجد في واقع أحداث عالمنا المعاصر مثالا واحدا على بقاء القيادات المهزومة في مواقعها، إلا في البلدان العربية، بينما قد تصل محاسبة المنهزمين إلى مستوى ما عرف عن محاكمات نورنبيرج بعد الهزيمة الألمانية في الحرب العالمية الثانية، أو إلى حد أدنى يشمل السقوط السياسي عبر الانتخابات كما كان مع المسؤولين الأمريكيين بعد فيتنام، وفي الأصل فهذا الذي نذكره قضية بديهية لا تحتاج إلى نقاش أو تعليل، إذ كيف يُنتظر أن يُصنع النصر على أيدي من صنع الهزيمة وهو مصر على الطريق التي أدت إليها، أم أن مصائر الشعوب والبلدان والقضايا التاريخية ساحة للتجارب المتعاقبة ولو كانت نتائجها من حجم كوارث 48 و 56 و67م.

أما آخر ما يمكن البحث فيه بلسان المنطق، فهو زعم من زعموا النصر لأنفسهم بحجة أن اليهود الذين احتلوا الأرض وشردوا الشعب وعاثوا الفساد وهيمنوا على المنطقة، لم "ينجحوا" في إسقاط أنظمتهم من السلطة.

وقد يوجد من المؤرخين من يعثر بصورة أو بأخرى على أعذار "واهية" للزعماء وأنظمة الحكم الأولى في الفترة التي انتهت بنكبة 1948م العسكرية في فلسطين وما حولها، ولكن ما هي الأعذار التي تبرر من بعد شغل الجيوش العربية على امتداد خمسين سنة مضت وإلى يومنا هذا، في حروب جانبية وداخلية تهدر الطاقات العسكرية والأمنية لتثبت أوضاع تحمل المسؤولية عن "العجز" العسكري الذي لا ينقطع الحديث عنه تبريرا للهزائم ثم تبريرا للهزائم ثم تبريرا للتسليم.

الإعداد المرفوض :

سيان في نهاية المطاف، هل نشهد على ساحة قضية فلسطين وقضية التحرر والوحدة والتقدم في المنطقة العربية ما هو جدير بوصف الخيانة، أم نشهد فعلا درجة من العجز والضعف هي السبب في الهزائم العسكرية، فإن المقياس الفاصل ما بين الإخلاص والخيانة يبقى متركزا على الأقل على السؤال عما يُصنع في ميدان الإعداد لمرحلة قادمة، وهو سؤال لا يقتصر على الجانب العسكري وحده بطبيعة الحال، في عالم لا مكان فيه لمن لا يعد لمستقبل أفضل على سائر الأصعدة، الاقتصادية والعلمية والفكرية والسياسية والعسكرية أيضا.

وفي الميدان العسكري على وجه التخصيص لم يكن دور الأنظمة العربية على صعيد قضية فلسطين هو الامتناع عن الإعداد العسكري فقط، بل وصل إلى درجة "مكافحته" مباشرة، ولم تقع هزيمة من الهزائم العسكرية الماضية إلا نتيجة عدم الاستعداد للمعركة، فضلا عن توجيه الضربات لكل جهة تعمل على كسر هذه الحلقة المفرغة أملا في مستقبل أفضل.

وأول ميادين الامتناع عن الاستعداد هو ميدان التخطيط، فكم بقيت أنظمة البلدان العربية تمارس ألوان العداء تجاه بعضها البعض لتزعم عشية المعركة توحيد قياداتها العسكرية أو التنسيق فيما بينها، وإذا بالمعركة نفسها تكشف عن انعدام هذا وذاك، حتى إذا وقعت الهزيمة استؤنف تبادل الاتهامات والعداء بانتظار جولة تالية وهزيمة أخرى.

وعلى النقيض مما يشاع تبريرا للهزائم، فإن القوة العسكرية للكيان اليهودي الباطل لم تكن في أية جولة عسكرية ماضية هي المتفوقة من حيث العدد -كما هو معروف- ومن حيث التجهيزات العسكرية أيضا، أو مستويات التسلح، بالمقارنة مع الجبهة العربية المشاركة في القتال، ولكن الفارق الرئيسي كان في استعداد اليهود المستمر لقتالنا والإعداد له -وهذا ما يجري اليوم أيضا- وانشغال الجيوش العربية بالسلطة وممارستها وحمايتها داخليا، وبالنزاعات الجانبية وهدر الطاقات المتوفرة على ساحة الاقتتال فيها، حتى إذا وقعت الهزيمة كانت محتمة سلفا.

ولئن صحت مزاعم تقول إن الكيان الصهيوني الباطل يتلقى عونا خارجيا كبيرا، فإن ما يقابل ذلك أن هذا العون يفقد قيمته ومفعوله، لولا أنه يعد لتوسعه العسكري بالعدوان ما لا يعد مثله أدعياء حمل لواء القضية لصد العدوان على الأقل.

إن تجنيد الكيان الإسرائيلي الباطل لزهاء 400 ألف جندي في حالة "السلم" وأكثر من ضعف ذلك للتعبئة العسكرية السريعة في حالة "الحرب" يعني استغلال الطاقة البشرية المتوفرة بما يناهز نسبة 20٪ مقابل ما لا يكاد يتجاوز 1٪ في البلدان التي حملت ذات يوم وصف دول المواجهة ثم دول الصمود والتصدي وتحمل اليوم وصف بلدان "سلام الشرق الأوسط".. كمثال واحد من أمثلة عديدة في ميدان الإعداد لما كان يوصف بمعركة المصير والتحرير.

ولم يكن يوجد لذلك أسباب موضوعية بما في ذلك ما يرتبط بالجانب المالي الذي تعتذر به بعض الأنظمة وهي المسؤولة عما تهدر من إمكانات متوفرة، فبغض النظر عن ذلك بقيت نسبة الإنفاق تحت عنوان ميزانيات الدفاع في البلدان العربية من أعلى نسب الإنفاق عالميا على الدوام، وكان حجمه أضعاف حجم الإنفاق العسكري في الكيان اليهودي الباطل، بما في ذلك سائر ما يتدفق عليه من دعم مالي خارجي.

ويتصل بذلك اتصالا مباشرا التخلف الخطير في مضمار تصنيع السلاح، مع كل

تتمة : ص 13

حول مفهوم التدبر

د. فريد الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب أخونا سعد كلمات قيمة، ترجم فيها إشكالا مهما، أو شبهة تعرض لكثير من الناس، حول تدبر كتاب الله ومدارسة آياته. وكان فيما قال أسعده الله:

«لا شك أنه من اللآفت فعلا شدة إعراض الناس عن القرآن الكريم! فأغلب الناس لا يُقبلون عليه إلا مرة في السنة أو في سنوات! ثم قال: «يبدو لي أن أحد الأسباب التي تكمن وراء هذا الإعراض هو "تهَيُّبُ" الإقبال على القرآن مباشرة ودون واسطة. صحيح أن من الناس من يتفادى التدبر؛ لأنه لا يعرف قيمة القرآن! ولكن هنالك أيضا صنف من المسلمين يخافون أن يُعْمِلُوا فكرهم في آيات الله -وإن كان بحضور التفسير!- لأنه "شيء جديد وغير مألوف!" ولأنه "اجتراء" على الله! فما هي الضوابط التي ينبغي الالتزام بها أثناء تدارس القرآن أو تدبره؟ ما الذي يضمن أن العبد لن ينجرف وراء خواطر شيطانية، وهو يظنها رحمانية؟ وإلى أي حد يمكن أن يقول "برأيه" في استخراج معاني القرآن وحقائقه الإيمانية؟

أعتقد أن توضيح هذه النقاط مهم للغاية، خاصة وأنني أعرف بعض الصالحين ممن يخافون فعلا أن يتدبروا القرآن. ولقد سمعت بأذني أحدهم يقول لصديق لي حين سمعه يتدبر آية من سورة العلق: "هل تريد أن تكون مفسراً؟"!! فَوَضْعُ هذه الحدود كفيل إن شاء الله بتشجيع الناس على الإقبال على القرآن دون خوف أو وجل.. والسلام عليكم».

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

بارك الله فيك أخي سعداً!

تساؤل في غاية الأهمية، وملحوظة في غاية الدقة! ولقد أشرتُ إلى بعض حقائق التدبر في كتيب "مجالس القرآن"، وكشفتُ هنالك عن طبيعة الإشكال. ولقد استقريت -بتوفيق الله- عشرين ضابطاً لمجلس التدارس والتدبر؛ ما يحفظه -بإذن الله- عن الشرود والانحراف. ولعل الأحبة يجدون في الطبعة الجديدة للكتاب -بزياداتها- ما يكفي لذلك، إن شاء الله، وبه الثقة. وإنما المحفوظ من حفظه الله!

وإنما الذي أفزعني ههنا هو ما حكاه سعدٌ عن بعض الإخوان، من الاستعظام لفعل التدبر، والإنكار على المتدبر بما يشبه السخرية! ولذلك فقد أحببت نزع ما يلقيه الشيطان في النفس -تحت ستار الورع وذريعة التقوى!- من الصد عن تدبر كتاب الله! وحرمان الأمة من أعظم أصل في منهاج التعامل مع رسالات الله!

ويمكن توضيح القول ههنا حول التدبر بطريقة أخرى، وبيان ذلك -بحول الله- هو كما يلي:

- أولا: لا بد من بيان أن التدبر هو غير التفسير! هذا أمر مهم جدا! ونحن نعلم أن بعض العلماء المعاصرين قد استعملهما على سبيل الترادف. وهو غير صحيح!

فالتفسير بيان وشرح للمعنى، بينما التدبر اتعاظ بالمعنى واعتبار به وتذكر! وبينهما فرق كبير..! إن التفسير من الفَسْر، وهو: الكشف والبيان. ولذلك سمي بيان كتاب الله تفسيراً؛ لأنه يكشف اللثام عن معانيه اللغوية والسياقية والشرعية، باستعمال قواعد التفسير المعروفة عند أهله. وهذا هو علم التفسير.

وقد كنا -مع بعض إخواننا- نتدارس كتاب الشيخ العلامة عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله: (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل)؛ فوجدنا أنما هو كتاب في قواعد التفسير! وهو كتاب من العمق والدقة بمكان! لكنه لا تدبر فيه بالمعنى القرآني للكلمة! وإنما هو قواعد منهجية تضبط عمل المفسر لكتاب الله.

أما التدبر -من التفعل- فهو: النظر إلى دُبُرِ الشيء، أي التأمل في دَوَابِرِ الأمور المتوقعة، بمعنى النظر إلى عاقبتها، وما يمكن أن تؤول إليه. كما يدخل فيه النظر في دوابر الأمور الواقعة من قبل؛ لمعرفة أسبابها ومقدماتها. وهذا لا يوجد في كتب التفسير إلا نادراً. لأنه - في الغالب - عمل قلبي شخصي، ونظر نفسي لا ينوب فيه أحد عن أحد. وهل يستطيع أحد أن ينوب عن غيره في الخوف والرجاء، أو في الكسل والنشاط؟ هذا ممتنع عقلاً وطبعاً وشرعاً! اللهم إلا ما تعلق بربط الأسباب بمسبباتها -على المستوى الخارجي- وما كان في معناه.

بين التدبر والتفسير

- ثانيا: إن التدبر هو مرحلة ما بعد التفسير..! أي ما بعد الفهم للآية. لكن الفهم المطلوب لتحصيل التدبر إنما هو الفهم الكلي العام، أو بعبارة أخرى: الفهم البسيط. ولا يشترط في ذلك تحقيق أقوال المفسرين والغوص في دقائق كتب التفسير! وإلا صار القرآن موجها إلى طائفة محصورة فقط! ومن ثم يمكن لأي شخص أن يتدبر القرآن بعد التحقق من المعنى المشهور للآية، يقرؤها من أي تفسير أو يسمعها.

إن التدبر حركة نفسية باطنية! تنظر إلى صيرورة النفس في الزمان والمكان، بالنسبة إلى احتمالين: الأول احتمال متابعة القرآن والاستسلام لأحكامه وحكمه. والثاني: عكسه، وهو النكوص والتمرد والجحود والعصيان! ففي كلا الأمرين ينظر المتأمل إلى مآل الحال المحتمل! ذلك هو التدبر! ولذلك كان التدبر لغة -كما ذكرنا- نظراً إلى أدبار الحوادث ونتائجها، وربطا للأسباب بمسبباتها، فيما وقع وفيما يحتمل أن يقع، على المستوى النفسي والاجتماعي. في الخير والشر سواء! إنه إذن ضرب من المحاسبة للنفس في ضوء القرآن، والمراقبة لأحولها، في صيرورتها الذاتية والاجتماعية.

إن التدبر إذن هو نظر في الآية باعتبارها مبصاراً، يكشف عن أمراض النفس وعللها، ويقوم في الوقت نفسه بتهذيبها وتشذيبها. أي بتزكيتها وتربيتها.

ومن ثم فإنه يكفي المتدبر للقرآن أن يعلم المعنى العام للآية أو السورة، مما أُثِرَ عن جمهور السلف؛ ليدخل في مسلك التدبر.

ولا شك أن علم العالم وخبرة المفسر تعطيه فرصةً أكبر بكثير؛ لتعميق التدبر في الآيات، والوصول بها إلى أرقى منازل الإيمان! ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن غير المختصين بالتفسير، أو حتى العوام محجوبون من التدبر! إن غير العالم لن يعجز عن تدبر آية "الحمد لله رب العالمين" مثلا، والنظر في مآلات فعل الحمد في نفسه وفي المجتمع -على قدر طاقته طبعاً- وكذا مآلات نقيضه من النكران والجحود كيف يكون؟

وإن غير العالم إذا فسرتَ له أن "الفَلَقَ" هو الفجر؛ أمكنه آنئذ أن يتدبر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(الفلق: 1- 2) وكذلك إذا علم أن "الجُدَدَ" هي: الطرق والمسالك الجبلية، وأن "الغَرَابِيبَ" هي: الصخور السوداء؛ أمكنه أن ينطلق في آفاق تدبر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(فاطر: 27). ولقد تعمدت أن أمثل بهذه الكلمات القرآنية الغريبة إلى حد ما، وإلا فجمهور المعجم القرآني من الميسور المعلوم، بل إن كثيراً منه متداول في اللهجات العامية العربية!

دعوة للتدبر

ولم لا يتدبر؟ أليس يرى القارئ للآية المذكورة مثلا، مشهدَ نزول الماء من السماء؟ أليس يرى بعينيه آثار الغيث كلَّ ربيع في الروابي، والجنات، والبساتين، وأشكال الفاكهة والثمار، والجداول، والأنهار، والأطيار، بل في الحياة كلها؟ أليس ينظر إلى الجبال الشاهقة المنتصبة بهيئتها العظيمة بين يديه؟ أليس يرى مسالكها من بعيد تتلوى حولها خطوطاً حمراء وبيضاء على حسب لون الصخور والتربة الناسجة لها؟ أليس يعجب من مشهد الحجارة الصماء السوداء، الراسية على قمم هذه الجبال أو تلك؟

فكل من أبصر عظمة الخالق في عظمة المخلوق، واتخذ آثار الصنعة مسلكا يسير به إلى معرفة الله فهو متدبر وهو متفكر! وهذا أمر ليس حكراً على المفسرين ولا على الجيولوجيين، وإن كان لهؤلاء وأولئك من العلم ما يجعلهم يتفوقون ويسبقون به غيرهم، إذا أخلصوا النظر لله! نعم، ولكن الله قد أتاح لكل ذي عينين، وأذنين، وقلب حي، أن يسلك إلى ربه عبر ما يسر الله له من التدبر والتفكر.. ولربما سبق القنفذُ الفرس! وإنما ذلك على حسب صفاء القلب وإخلاص السير!

وإنني لأنسى كثيراً، لكنني ما نسيت قط حَدَّاداً شابا في قريتي الصغيرة بجنوب المغرب، أواخرَ السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الميلادي الماضي.. وكانت الشيوعية آنئذ تنتشر في المغرب انتشار النار في الهشيم! وقد كان دعاتها عندنا من بعض رجال التعليم وطلبة الجامعات، مع الأسف! وكان أحدهم يجلس إلى ذلك الحداد البسيط يعلمه "حقوق العمال" و"ديكتاتورية البروليتاريا!" وكأن مطرقته الثقيلة، وما كان يصنعه للفلاحين الصغار من مناجلَ ومَزَابِرَ ومحَشَّات، كانت تذكره بشعار الشيوعية الشهير: "المطرقة والمنجل"! فطمع الأحمق أن يضمه إلى صفوف الشيوعيين! حتى إنه سار معه بعيداً فجعل يشرح له عقيدة الإلحاد، وكيف أن "الدين أفيون الشعوب" على حد تعبير كارل ماركس! وكنتُ أنا أيضا وأصحابي نجلس إلى هذا الحداد، فيحدثنا بحديث الشيوعي، ثم نتداول الكلام.. وإنني لا أنسى يوما إذ أخرج من التنور حديدةً مُجَمَّرَةً، قد احْمَرَّ نصلها من النار حتى إنها لتكاد تذوب! ثم انهال عليها بالدق والطرق بقوة، وهو يقول دون أن يرفع رأسه: "يا أخي.. إنهم ينكرون وجود الله ووجود الآخرة! هكذا يقولون.. أما أنا فإنه لربما أصابتني أحيانا شرارةٌ طائشة من هذا الحديد المجمَّر بين يديَّ؛ فتثقب ثوبي ثم جلدي، فيكون لها من الألم الشديد ما الله به عليم! وإن ذلك ليكفيني ترهيباً وتحذيراً من نار جهنم! وإن صاحبنا الشيوعي كلما حدثني بحديثه قلت في نفسي: هذه مجرد ذرة من نار الدنيا، فترى كيف تكون نار الآخرة! وإنني لأرى بعينيَّ أن نار الدنيا هاته التي بين يديَّ لدليل كاف على وجود نار الآخرة!" كذا قال!

وإنني ما زلت إلى اليوم أعجب من عمق ملاحظة ذلك الحداد الفطري البسيط! وأتساءل في نفسي: أي تفكر هذا وأي تدبر؟ بل أي علم بالله هذا وأي إبصار!.. حَقّاً حَقّاً! ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ!﴾(الحج: 46)

هذا ضرب عجيب من التدبر لحقائق القرآن، ونوع من التفكر العميق في الوجود، وهو ممكن لكل الناس، خاصتهم وعامتهم على السواء.

وأنت ترى أن الله -جل جلاله - أمر الكفار بالتدبر لكتابه! كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾(النساء: 82) وقال سبحانه: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد: 24) فإذا كان الكافر - وهو المجرد قطعا من كل قواعد التفسير ومناهجه- مأموراً بالتدبر فالمسلم أولى وأحرى!

إن المسلم -أي مسلم- إنما عليه أن يصطحب مختصراً صغيراً من كتب التفسير، كتفسير الجلالين مثلا، أو أحد مختصرات ابن كثير، أو غيرهما؛ وذلك فقط حتى يضبط بوصلة الاتجاه العام لمعنى الآيات، ثم يشرع آنئذ في التدبر للقرآن، ولا حرج. لأن التدبر لكتاب الله لا ينبني عليه حلال ولا حرام، ولا تصدر عنه فتوى ولا قضاء! وإنما هو مسلك روحي يقود القلب إلى التوبة والإنابة، وإلى مجاهدة النفس من أجل الترقي بمراتب العلم بالله!

أما صناعة التفسير والاستنباط فهذا هو الذي يخص فئة محصورة من الناس وهم أهل الاجتهاد من العلماء، ممن يفتون ويقررون في القضايا والنوازل. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(النساء: 83) وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة: 122). فذاك علم الخاصة.

وأما التدبر -بما هو تذكر واعتبار- فهو لعامة المسلمين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: 17).

وعليه؛ فالمفسر عالم وفقيه، يقوم ببيان الحقائق القرآنية والأحكام الشرعية، والتصدر للفتوى. بينما المتدبر مجرد متعظ وواعظ. وقد يجمع الله للمرء بين الخيرين. والعالم الحق لا يصح له إلا ذلك! ومن ثم جاز لنا أن نقول: "كُلُّ عالمٍ أو كلُّ مفسِّرٍ متدبرٌ، وليس كل متدبرٍ مفسِّراً!"

نتمة: حول مفهوم التدبر

فتأمل..!

إن الذي يمتنع عن تدبر القرآن أو ينهى غيره عن ذلك؛ بدعوى أن التدبر أمر خاص بعلماء التفسير، إنما هو جاهل بهذا الفرق الجوهري الكبير بين التفسير والتدبر.. وأخشى أن يكون الشيطان قد لبَّس عليه تلبيساً؛ ليحرمه هو في نفسه من نور القرآن! أو يجعله أداة لقطع الطريق أمام السائرين إلى الله!

إن التدبر للقرآن مطلوب من العالم، ومن المهندس، والطبيب، والأستاذ، والفلاح، والحداد، والنجار، والتاجر... إلخ! بل إن التدبر مطلوب من الكافر الأعجمي، إنجليزيا كان أو فرنسيا أو صينيا، أو ما كان! نعم! نعم! لكن فقط بعد أن تترجم له المعاني العامة للآيات!

بينما التفسير إنما هو صناعة العلماء فقط.

بين التدبر والتفكر والتذكر

ومصطلح "التدبر" في القرآن قريب من مصطلح "التفكر" وإن لم يكونا مترادفين. فكأن "التدبر" ينصرف استعماله غالبا إلى تأمل القرآن، بينما "التفكر" ينصرف استعماله إلى تأمل الكون المنظور. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران:190- 191). وإذا تأملت وجدت نتيجة كُلٍّ من التدبر والتفكر واحدة، ألاَ وهي: الاتعاظ والاعتبار! وهو ما حكاه الله عن الذاكرين المتفكرين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

إن هَذا معناه أيضًا أن النظر "التفكري" في الكون ليس عملا عقليا معقدا، خاصا بعلماء الفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات والبيولوجيا والطبيعيات... إلخ! نعم هم مشمولون بأمره، بل هم أولى به! لكن "التفكر" كالتدبر، مطلوب أيضا من غير المتخصصين، بل حتى من العوام! كُلٌّ على قدر فكره!.. وما يدريك؟ لعل فلاحا بسيطاً، يصل إلى عبرٍ للقلب لا يتحقق بها المتخصص الخبير! لأن نتائج كُلٍّ من التدبر والتفكر محض هبة من الرحمن، ومجرد هُدًى منه تعالى!

إن التدبر والتفكر يؤولان معاً إلى مصطلح قرآني مركزي ثالث، ألا وهو "التَّذَكُّر" بالذال المعجمة، أو "الادِّكَار" بالدال المهملة، ومشتقاتهما وهما سواء(2). قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(ص: 29) وقالَ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(القمر: 17).

وإنما يختص "التدبر" بتحصيل الذكرى عن طريق النظر في الآيات القرآنية. بينما يختص "التفكر" بتحصيل الذكرى بالآيات الكونية. هذا هو الغالب، وربما وجدت هذا بمعنى ذاك. إذ بينهما علاقة جدلية؛ لأن أحدهما يؤدي إلى الآخر. فالتدبر للقرآن يقودك إلى التفكر في الوجود، والتفكر في الوجود يعود بك إلى القرآن. وهما معا في جميع الأحوال يثمران تَذَكُّراً للقلب وذكرى.

ولا يقول عاقل بأن التذكر والذكرى يحتاج فيها الإنسان إلى خبرة علمية وتخصص دقيق! سواء في الشرعيات أو في الكونيات. كلا! كلا!.. إنما هو عمل قلبي محض، مفتوح لكل ذي قلب! وبذلك قامت حجة الله على جميع الخلق عربهم وعجمهم، خاصتهم وعامتهم! قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق: 37)

وبذلك يتبين ما لتعقيد الضوابط والشروط للتدبر أو للتفكر، من خروج عن منهاج القرآن! قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة: 2).

إن المتدبر أو المتفكر -كليهما- في حاجة إلى التحقق بأمرين اثنين:

- الأول: الفهم العام للآية قراءةً، أو سماعاً إن كان أميا. ويحسن أن يكون ذلك بمجلس مدارسة، تعلما وتعليما، على منهاج رسول الله -معلم الأمين- ﷺ.

- الثاني: إخلاص النظر لله! وكلاهما بمقدور جميع الناس، إلا من رُفِعَ عنه القلم!

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(سبأ: 46)

وهذا خطاب موجه في الأصل للكفار، فتأمل!

وقفة مع المتدبرين

وأحب قبل ختام هذه الكلمات أن أعززها بإيراد أمثلة عن تدبر النبي ﷺ وتفكره. فالسنة هي البيان الرئيس للقرآن الكريم ومفاهيمه. وأمثلة أخرى عن تدبر الصحابة رضي الله عنهم، وكذا بعض التابعين.

ففي مشهد من أَجَلِّ مَشَاهِدِ النبوة، لم يزل رسولُ الله ﷺ يبكي في صلاته من تدبره وتفكره؛ إذْ أَرَاهُ اللهُ من أسرار مَلَكُوته ما أَرَاهُ؛ حتى بكت الأرض ببكائه عليه الصلاة والسلام!.. فقد سَأَلَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عائشةَ رضي الله عنها، قَالَ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ! قَالَ: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ ﷺ : «يَا عَائِشَةُ! ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي!» قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ.. قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ! قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ! قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ! فَجَاءَ بِلاَلٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟.. لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا! ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران: 190- 191)»(2).

وقد ورد التدبر والتفكر ههنا بمعنى واحد كما أشرنا إليه من قبل، لارتباطهما الجدلي. فقوله ﷺ : «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا!» هو بمعنى: لم "يتدبرها" لأن تدبرها مُفْضٍ بالضرورة إلى التفكر في خلق السماوات والأرض؛ ولذلك عبر هنا بالتفكر. وأما وعيده ﷺ للممتنع عن التفكر بالويل؛ فهو دليل قوي على وجوب التفكر والتدبر -إجمالاً- على جميع الناس! سواء منهم العالم والعامي، كُلٌّ على ما يسر الله له.. فتأمل!

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل، قام فقال: "يا أيها الناس!.. اذكروا الله! جاءت "الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ!" جاء الموت بما فيه! جاء الموت بما فيه!...)(3) ولا يخفى ما في الحديث من تضمين لآيتي النازعات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾(النازعات: 6- 7). وما في ذلك من تدبر عجيب لهذه الحقيقة الإيمانية في جوف الليل؛ وذلك لشَبَه الليل بظلمة القبر من جهة، ولأن الليلَ -من جهة أخرى- هو موتٌ لحركة النهار! وفي ذلك أيضا إشارة إلى أن على المؤمن أن يجعل تفكره في الظواهر الكونية مرتبطا بتدبره للآيات القرآنية؛ بسبب ما ينتج عن ذلك من التشمير والجد والعمل! حيث تقع الآيات بعد ذلك على النفس الكسولة الغافلة، موقع السوط اللاهب على ظهر الدابة الخاملة! فتقفز مسرعة بصاحبها في الطريق إلى الله!

وكذلك كان تدبر أصحاب رسول الله ﷺ.. فعن التابعي العابد الزاهد ابن أبي مليكة رحمه الله، قال: «صَحِبْتُ ابنَ عباس -رضي الله عنهما- من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شَطْرَ الليل! فَسُئِلَ: كيف كانت قراءَتُهُ؟ قال: قرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ..﴾(ق: 19) فجعلَ يُرَتِّلُ ويُكْثِرُ في ذلك النَّشِيجَ!»(4) والنَّشِيجُ: شدة البكاء، إذا هاج على صاحبه؛ فبكى بصوت مخنوق في صدره، فصار له أَزِيزٌ كأَزِيزِ القِدْرِ أو المِرْجَلِ!

وفي تفسير الطبري: (أن عبد الله بن مسعود ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾(المؤمنون: 104)، قال: ألم تر إلى الرأس المُشَيَّط بالنار، وقد قَلُصَتْ شفتاه وبدت أسنانُه!)(5) يقصد التمثيل التدبري للمعنى برأس الكبش المُشَيَّط، أي بعد تشويطه بالنار. تقول: شَوَّطَ وشَيَّطَ، سواء. وهذا تدبر عجيب؛ لما فيه من ربط للآيات القرآنية بالمشاهدات اليومية في الحياة الدنيا -رغم عظم الفرق- ولكن الاتعاظ بالصغير الحقير أدعى إلى الاتعاظ بالكبير الخطير!

وفي ترجمة عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في الإصابة لابن حجر، أنه: (كان ﷺ إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾.. الآية (الحديد: 16) يبكي حتى يغلبه البكاء..!)(6)

وورد (أن أبا طلحة ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾.. الآية (التوبة: 41)، فقال: أرى ربي يستنفرنا شيوخنا وشُبَّانَنَا! جهزوني أيْ بَنِيَّ! جهزوني! (يعني للجهاد! وكان يومها قد شاخ وكَبُرَ!) فقال بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ونحن نغزو عنك! (أي بعدما عجزت) فقال: جهزوني! فركب البحر، فمات. فلم يجدوا له جزيرة]لدفنه ﷺ إلا بعد سبعة أيام! فدفنوه فيها ولم يتغير!)(7)

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: 49)، قال الإمام القرطبي: (وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتاه..! ضَجُّوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر!)(8)

وروى الإمام البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن الواعظ الكبير مالك بن دينار أنه رحمه الله: (قرأ هذه الآية: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾.. الآية: (هود: 88). قال: «فَأُسَمَّى في القيامة مَالِكاً الصَّادِقَ، أو مَالِكاً الكاذبَ!»)(9) وهو بذلك يُنَزِّلُ مَضمون الآية على نفسه -حيث كان واعظاً- فجعل يحاسب نفسه بميزان القرآن، ويتدبر الآية بالنظر إلى نفسه، مشفقاً من حالها ومآلها، وما قد يكون من مصيرها! قصد تهذيبها، وكسر شوكة غرورها، وتصفية مقاصدها، وتجريد إخلاصها لربها! وهو من أجل ضروب التدبر والتفكر!

وفي الزهد لأحمد بن حنبل - وغيره - أن مالكا بن دينار أيضا قرأ هذه الآية: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾.. الآية (الحشر: 21) فبكى، وقال: «أقسم لكم! لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلا صدع قلبَه!»(10) الله أكبر..! ألا ما أجله من تدبر! وما أدقه من تفكر! لقد وضع مالك بن دينار -رحمه الله- قلبَه موضع الجبل! فكيف تراه يكون؟ أيكون أشد صلابةً من الجبل؟ كيف بقلب يتلقى القرآن حق التلقي، كيف به وهذا الجبل قد خشع له وتصدع!؟

ذلك هو التدبر.. وإن الأمثلة في مثل هذا لأكثر من أن تحصى!

وأنت تلاحظ أن هذه النصوص جميعا ليست من قبيل التفسير بمعناه الاصطلاحي الخاص، وإنما هي مجرد تعبير عن المشاعر الخاصة، والمواجيد الجياشة، الحاصلة في النفس عند تلاوة الآيات، وما يخالط القلب من الرَّغَبِ والرَّهَبِ، والخوف والرجاء، في طريق السير إلى الله! كما أن فيها تنزيلا للآيات على واقع النفس، أو واقع المجتمع، أو على أحوال الطبيعة حول الإنسان، ومشاهدةً لبروق الوعد والوعيد، من خلال تقلبات الليل والنهار. وفضحاً لغش النفس وضعفها؛ بتسليط كشافات القرآن عليها! كما أن فيها مشاهدةً للعزائم العالية التي طلبها الله عز وجل من العباد، وما ينتصب دونها من مشاق الطريق ومكارهها! ولذلك ترى المتدبرين للقرآن والمتفكرين في آياته الكونية، بين بَاكٍ مختنق بالأنين، أو مُطْرِقٍ مهموم حزين! ولا يخرج كلاهما من مجلسه أو خلوته إلا بعزيمة تهد الجبال! وإن الواحد من هذا الطراز البشري العظيم لهو بأمة!

ذلك هو التدبر، وذلك هو التفكر، وتلك هي الذكرى.. وإنما ثمرة ذلك كله هو تهييج النفس على العمل، وتنشيط القلب على السير، وتوثيق إرادة النفس على عزائم الأعمال!.. فكذلك كان تدبرهم للقرآن، وكذلك كان تفكرهم في الزمان.. فما بالنا نحن؟ إنما نحن في حاجة إلى قلوب مثل قلوبهم، وإخلاص مثل إخلاصهم!

وإنني لعلى يقين لو أن الناس اليوم يُحْيُونَ هذا المسلك في النفوس من جديد، ويتداولون القرآن في المجتمع على هذا الوزان؛ لتدفقت أنهار النور على الظلام! ولكان للأمة في هذا العصر شأن آخر..! وإنه لَيَكُونَنَّ إن شاء الله! وما ذلك ببعيد..! فإنني أرى عباداً لله خُلَّصاً قد بدؤوا يرفعون راية القرآن فوق تلال قلوبهم!.. وإن نصب راية القرآن على تلال القلوب لهو: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ.. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ!﴾(الصف: 13).

اللَّهم ألهمنا مراشدنا، واسلك بنا سبيل الهدى، واجعلنا سببا لمن اهتدى!

---

(1) قال الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى من سورة القمر: (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ): (وأصل "مُدَّكِر": مفتعل من ذَكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال، وتاءٌ وهي بعد الذال، فَصُيِّرَتَا دالا مشددة. وكذلك تفعل العرب فيما كان أوله ذالا يتبعها تاءُ الافتعال، يجعلونهما جميعاً دالا مشددة، فيقولون: اِدَّكَرْتُ ادِّكَاراً، وإنما هو: اِذْتَكَرْتُ اذْتِكَاراً.)

(2) الحديث رواه ابن حبان في صحيحه. وقال الشيخ الألباني: إسناده جيد، وحسنه في صحيح الترغيب.

(3) الحديث، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في الصحيحة وفي صحيح الترمذي وصحيح الجامع الصغير.

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي: 3/342.

(5) ن. تفسير الطبري للآية: 104 من سورة المؤمنون.

(6) ن. ترجمته في: "من اسمه عبد الله" في "الإصابة في معرفة الصحابة" لابن حجر.

(7) الطبقات الكبرى لابن سعد: 3/507.

(8) ن. تفسير القرطبي للآية: 49 من سورة الكهف.

(9) شعب الإيمان رقم الأثر: 1802.

(10) الزهد لأحمد بن حنبل، رقم الأثر: 1878. والأثر أورده أيضا أبو نعيم في الحلية عند ترجمة مالك بن دينار، كما أورده السيوطي في الدر المنثور عند تفسير الآية: 21 من سورة الحشر.

مفاهيم التدبر في القرآن وآثاره وموانعه 1

دة. سعاد الناصر (أم سلمى)

أراد الله تعالى للأمة أن تتشكل من خلال القرآن الكريم وبه، لتضطلع بمهمة رسالتها الحضارية، فكانت الدعوة إلى القراءة والمعرفة مع أول آية نزلت ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق: 1- 5). لتكشف عبر العصور والأزمان أن مفتاح قيام الأمة ونهضتها هو فعل "اقرأ"، وأنه متى وقع انفصال بينه وبين واقعها تخلفت وذبل فكرها. والناظر إلى حال الأمة يدرك أنها ابتعدت منذ قرون عن هذه الدعوة الربانية إلى فعل القراءة، وممارستها علما ومعرفة وسلوكا إيمانيا، وبالتالي تراجع اهتمامها بالقرآن، باعتباره منطلق قراءتها، ودستور حياتها، ومقوما أساسيا في بناء شخصية أفرادها. وانحسر حتى كاد أن يقتصر عند أغلب المسلمين على التبرك والحفظ والتجويد والتلاوة دون أي فهم لمعانيه ودلالاته ومقاصده، وتنزيلها على واقعهم، وخرج عن دلالات ""تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله"(1). وترتب على ذلك عدم تمكين القرآن الكريم من تأدية وظيفته الحضارية في تصحيح مسارات العالم على صعيد المستويات كافة، ومن تأثيره الفعال في بناء الشخصية التي تحمل رسالة الله إلى الإنسانية: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾(ابراهيم : 1). وإذا أرادت الأمة أن تنهض وتسترجع خيريتها على سائر الأمم ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ فعليها بالقرآن الكريم قراءة وفهما وتدبرا على الوجه الصحيح.

ولا شك أن عددا كبيرا من أفراد الأمة يستشعر أزمة ابتعاده عن دينه، وما صاحبها من تخلف وانهيار وسقوط حضاري، لكنهم يفتقرون إلى منهج يستعيدون به درجات تقربهم، وفاعلية معايشة القرآن الكريم وتطبيقه في واقعهم وحياتهم، الأمر الذي يتطلب إعادة تحديد مفاهيم التدبر في القرآن وتحديد وسائله وآلياته، وتقريبها إلى أذهان المسلمين للتوصل إلى آثارها في معالجة واقعهم، والارتقاء به.

مفاهيم التدبر في القرآن الكريم:

إن أصل التدبر في اللغة هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه، وعرف الأمر تدبرا أي بآخره، وهذا يفهم من قول الشاعر جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم
ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا(2)

وقد وردت ألفاظ من أسرة الأصل "دبر" في القرآن الكريم بهذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(الأنفال : 15- 16)، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف : 72)، ليدل ذلك على أن التدبر هو "التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة"(3). واستنادا إلى هذا المعنى اللغوي في القرآن الكريم فإنه "لا يقتصر على مجرد التفكر والتأمل، مع أنهما سلوكان محمودان، وإنما يتعين ممارسة التدبر عبر الالتفات إلى مآله وعاقبته، إذ لا يتعلق الأمر مع القرآن، بمجرد التفكر والتأمل، بل إنهما يعتبران وسيلة إلى غاية كبرى، وهي التذكر والعظة والاعتبار والاستجابة لنداء الله"(4). وقد أشار إلى هذا ابن القيم في قوله: "تدبر الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة، ولهذا جاء على وزن التفعل كالتجرع والتفهم والتبين، وقيل إنه مشتق من النظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها. ومنه تدبر القول كما في قوله تعالى: ﴿أفلم يدّبّروا القول﴾(المؤمنون : 68)(5)، وأبرز القرطبي حقيقة مآل التدبر وارتباطه بترجمة الفكر والتصور إلى سلوك عملي في شرحه للآية الكريمة "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب" فقال: "ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به"(6)، وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري: "تدبر الآيات: التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأن من اقتنع بظاهر المتلو ولم يحل منه بكثير طائل، كان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها"(7). إن علماء السلف الصالح فهموا أن القرآن الكريم بسط أهم قضية وأخطرها في حياة الأمة، وهي قضية العلاقة بين الفكر والممارسة، بين الإيمان والمعرفة استجابة لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كَبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾(الصف : 2- 3)، وغيرها من الآيات الدالة على المفاهيم العميقة للتدبر، الكاشفة عن طبيعة العلاقة التي يجب أن تسود بين المسلمين وكتاب الله عز وجل. وقد تأمل ابن تيمية هذه العلاقة سابقا فوجد المسلمين ينقسمون في تدبرهم للقرآن إلى طوائف: طائفة تركت التعلم منه والنظر فيه والتدبر له إلى كلام غيره. وطائفة أقامت حروفه وحفظه من غير فقه فيه ولا فهم لمعانيه. وطائفة أخرى تتلوه وتسمع قراءته من غير تحرك له ولا وجد فيه، ولا ذوق لحقائقه ومعانيه(8).

وهذه الطوائف تمثل الأزمة التاريخية والمنهجية التي وصل إليها المسلمون اليوم في علاقتهم بكتاب الله عز وجل. الأولى تعبر عن الانحراف الفكري لدى بعض المفكرين المعاصرين، والثانية تجد شبها لها في بعض قراء الأمة ووعاظها، والثالثة ما هو عليه سواد المسلمين(9). كما تكشف عن التطبيق العملي لقوله تعالى: ﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ (الفرقان30,) التي شرحها ابن كثير بقوله: "وترك تدبره وتفهمه من هجرانه"(10). فمعنى الهجر يتجاوز الهجر اللفظي إلى الهجر المعرفي والعملي، حتى لم يعد القرآن مرجعا معرفيا يترجم إلى أعمال بالنسبة إلى الأمة، سواء على مستوى العامة، أم على مستوى الخاصة من المفكرين والمثقفين. وهذه الأزمة تجاه القرآن تزداد حدة مع انتشار الأمية والجهل، وغياب العلم والتعليم الحقيقيين في ظل أوضاع تعليمية لا تقوى على تكوين الفرد المنشود في ظل المفاهيم القرآنية، حتى أصبح في مرتبة اليقين لدى عموم الناس أن القرآن صعب التفسير، أو أنه لا يجرؤ أحد على تفسيره"(11).

وبرصد مواطن ذكْر لَفْظ التدبر في القرآن الكريم نجد أن الأمر الإلهي فيها وارد مورد الوجوب في حق الناس أجمعين. يقول تعالى: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب"(ص.29)، ويقول عز شأنه: " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (محمد :24) ، ويقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا﴾(النساء: 82)، ويقول تعالى: ﴿أفلم يتدبّروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين﴾(المؤمنون :68). فالخطاب الإلهي يطالب كل الناس بالتدبر للوصول إلى الحق. و"هذا العموم الذي يشمل المخاطبين يشاكله عموم يكتنف زمانهم ومكانهم، نلمس ذلك من خلال زمن نزول الآيات السابقة. فمنهما سورتان مكيتان وهما "ص" و"المؤمنون" وسورتان مدنيتان وهما "محمد" و"النساء"(12).

وتشير الآيات في مجملها إلى معان تبين أن التدبر هو الغرض الأساس من نزول القرآن الكريم، وأنه السبيل إلى فهم أحكامه، والطريق إلى بيان غاياته ومقاصده؛ فلا يمكن أن يُفهم القرآن حق الفهم، ولا تُعرف مقاصده وغاياته حق المعرفة، إلا بالوقوف عند آياته وتدبرها حق التدبر، لكشف ما وراءها من حكم ومعانٍ.

وأهم مقصد نقف عنده هو التفكر المصاحب لاستعمال العقل والفكر والتأمل، وهناك عدد من الآيات التي حررت العقل من أسره، ووجهت طاقاته نحو التدبر في الآفاق والحياة والأنفس، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران : 190- 191). فأولو الألباب هم أصحاب العقول الذين يقودهم تفكرهم وتبصرهم بآيات الله في الكون والنفس إلى الاستهداء بهدي الله، فيتأثرون به، وتنشرح قلوبهم له، وينعكس ذلك على سلوكهم، لأن من شأن التأثر أن "يسوق صاحبه إلى التخلي عن معاصي الفكر كالكفر والإلحاد والشرك ومعاصي السلوك كالظلم والكبر والفسق"(13). ويشير إلى هذا المعنى ابن القيم فيقول: "المراد به، أي اللب، القلب الحي الذي يعقل عن الله، ويوجه سمعه ويصغي حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام"(14). وتكرار هذا المعنى في القرآن الكريم يبين تلازم التفكر والتذكر، يقول الفيروز آبادي: "التذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف وحقائق الإيمان والإحسان، فالعارف لا يزال يعود تفكره على تذكره، وتذكره على تفكره حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم"(15).

وهذه الدلالات القرآنية المستنبطة من الآيات تكشف عن شروط التدبر، وهي أن يكون الإنسان متسلحا بوسائله وآلياته كالفهم والفقه والبصيرة والفكر والتفكر والتذكر والتأمل والاعتبار والاستبصار وغيرها من الألفاظ والمعاني المنتمية إلى هذا المجال، التي لا يمكن الارتقاء إليها بدون استصحاب مفاهيم قرآنية مجاورة لدلالات التدبر وهي القراءة والتلاوة والترتيل.

وباستقراء الدلالة اللغوية لهذه المفردات: القراءة والتلاوة والترتيل والتدبر، في سياق الخطاب الرباني من أجل مصاحبة القرآن الكريم، نجد أنها تعبر عن أبعاد لفظية وأخرى دلالية. فمفهوم القراءة المعبر عن جمع الحروف والكلمات، ومفهوم التلاوة الدال على تتابع هذه الحروف والكلمات يحيلان القارئ على الأبعاد اللفظية، أما مفهوم الترتيل الدال على التجويد، ومفهوم التدبر الدال على التفكر والتأمل فإنهما يحيلانه على الأبعاد الدلالية. وهي أبعاد تكشف عن مستويات من التعامل مع النص القرآني، متناغمة بين الجمال اللفظي والجمال المعنوي، تبدأ من القراءة والتلاوة والترتيل إلى التدبر، وتقدم منهجا قرآنيا واضحا في كيفية تنزيله على حياة الإنسان حتى لا يكون بينهما أي حاجز أو مانع. وهذا المنهج يتميز بخاصيتين اثنتين:

1- التيقن من ألوهية مصدر القرآن الكريم وقدسيته. ومن شأن هذا التيقن أن ينسج، من جهة، علاقة التقدير والإيمان بما يتوصل إليه الإنسان من أنوار معرفية، تنبض في فؤاده، وتسري في ممارساته وسلوكياته، وتسعفه على معاودة ارتياد آفاق التدبر بعيدا عن الكبر والهوى. ومن جهة أخرى يثمر تعاملا شموليا مع القرآن الكريم، وتناوله بوصفه بنية واحدة متكاملة، متميزة بالسعة والمرونة.

2- التدرج والارتقاء، وهي خاصية تجعل المتعامل مع النص القرآني يتدرج في مستويات الفهم، ويرتقي فيه. "وهذا المعنى يصدق في كل عملية تربوية، فلا بدَّ من التدرج في التربية والتعليم، ولا بد من المقدمات، لتكون النتائج، ولا بد من تهيئة النفوس والعقول لمساعدتها على تقبل الأحْكَام الجديدة، ولإعانتها على التخلص من عاداتها السيئة.. وما يقال عن تربية الأفراد يقال كذلك عن تربية المجتمعات وتغيير علاقاتها؛ ذلك أنَّ كلَّ تغيير اجتماعي يستدعي فهمًا عميقًا للمجتمع الذي هو موضوع النظر، وللعوامل المؤثرة في سيره وحركيته، ثم بعد ذلك يقع الارتقاء بهذا المجتمع نحو تحقيق المبادئ والمثل والبرامج .. وبذلك تصبح العملية التربوية قابلة للتطبيق، وتصبح مناهج التغيير الاجتماعي واقعية لا خيالية"(16). ومنهج تدبر القرآن يساعد على الاتصاف بالخاصيتين معا.

---

1 - نضرة النعيم ،ابن القيم الجوزية. ص 909
2 انظر لسان العرب4/273 والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 5/290.
3 - قواعد التدبر الأمثل عبد الرحمن حبنكة الميداني.ص 10.
4 -التدبر في القرآن الكريم بين الواجب الإلهي والحق الإنساني.د.محمد اقبال عروي.دعوة الحق.
5 - مفتاح دار السعادة.ص.216
6 - جامع البيان في تاويل القرآن. 23/153.
7 - الكشاف.ج 3/372.
8 -الفتاوى.ج 13/377-376.
9 - التدبر في القرآن الكريم بين الواجب الإلهي والحق الإنساني.، مرجع سابق.
10 - تفسير ابن كثير 6/108
11 - التدبر في القرآن الكريم بين الواجب الإلهي والحق الإنساني.، مرجع سابق.
12 - المرجع السابق.
-13المرجع السابق.
14 -الفوائد.ص3.
15 -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.ج 2/319.
16 - انظر : ظاهرة اليسار الإسلامي - دراسة تحليلية نقدية لأطروحات الاستنارة والتقدمية - حسن الميلي، تقديم جمال سلطان - (الرياض، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، طبعة أولى 1993م) ص108 . 109

آفة إسقاط المناهج الغربية على التراث الإسلامي

د. إبراهيم بن البو

لقد انبهر بعض علمائنا وخاصة منهم أولئك الذين تشربوا الفكر الغربي وتربوا في مدارسه بالمناهج الغربية وبالنتائج التي تحققها في بلدانها، فعمدوا إلى استيرادها كما تستورد البضائع وإسقاطها على التراث الإسلامي وحقوله المعرفية، غافلين أو متغافلين عن حقيقتين أساسيتين، أولهما: أن تلك المناهج انطلقت من أرض وفلسفة غربيتين تختلفان في مقوماتها عن أرضنا وفلسفتنا، وثانيتهما أن الغرب لا يتوانى عن إرسال ذبذبات فكرية هدفها تعتيم صور إنتاجنا، ونسف الأهداف التي نخطط لبلوغها في تفوقنا العلمي والثقافي وبنائنا الحضاري، حتى نذوب في شخصيته ونسير وراءه في مقولاتنا وأفكارنا فنبتعد كليا عن مصدر قوتنا ووحدتنا وسبيل نهضتنا وإشعاعنا. فما خصائص المناهج الغربية؟ وما السبيل إلى منهج إسلامي يراعي خصوصية التراث الإسلامي وينبثق من أرضه الخصبة؟

مميزات المناهج الغربية وخصوصياتها:

إن المنطلق العلمي السليم يقضي بصعوبة، إن لم نقل باستحالة فهم ومعرفة واستيعاب خصوصيات المناهج الغربية، هذه الأخيرة التي حكمت وتحكم مسيرة العلوم الإنسانية بصيغتها الغربية، ما لم نقف على المنطلقات الفكرية وخلفياتها التي أسستها ، مع التركيز على القرن التاسع عشر باعتباره فترة نضجها. ويمكن إجمال هذه المنطلقات فيما يلي:

1- العلمانية كبديل للتصور الديني: لقد كان الدين، في التاريخ الوسيط، يمثل مذهبا عقديا يقدم للإنسان الغربي تفسيرا شاملا وتصورا كاملا حول الكون والإنسان والحياة، لكن في القرن التاسع عشر فرض العلم نفسه كخيار لتفسير الظواهر باختلافها، خصوصا بعد الثورة الفرنسية التي لعبت الدور الحاسم في ظهور الفلسفة الوضعية، يقول أوكست كونت في هذا الإطار: «لولاها ما أمكن أن توجد نظرية التقدم ولا أمكن تبعا لذلك أن يوجد العلم الاجتماعي»(1)، فظهرت المناهج العلمية التي تهدف محاربة كل تفكير خارج عن دائرة الحس سواء كان تفكيرا دينيا أو ميتافيزقيا فحققت العلوم الطبيعية أرقاما قياسية بل خيالية، مما حدا بالعلوم الإنسانية أن تحذو حذوها فكانت أول خطوة مع دعوة كونت القائلة:«إننا ما دمنا نفكر بطرقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين، فالمنهج الوضعي الذي نجح في علوم طبيعية غير العضوية يجب أن يمتد إلى كل أبعاد التفكير»(2). غير أن هذه النزعة التجريبية استعملت كأداة إيديولوجية لسد الطرق أمام التفكير الديني الذي قامت على أنقاضه، وهذا المنزلق الفكري والمنهجي تنبه له بعض نقاد الفكر الغربي، نذكر منهم على سبيل المثال: هنري أيكن الذي يقول «إن تجريبية كونت وضعية وهو يستعملها بوضوح وصرامة كأداة إيديولوجية لتهدم أغاليط "التفكير غير العلمي" بأجمعها. كان يهدف كفيلسوف إلى غرس عقلية لا تفكر باصطلاحات "غير علمية" وترفض قضايا اللاهوت التقليدي والميتافيزيقي بكل بساطة على أساس أنها غير علمية»(3).

2- اختزال الحقيقة الإنسانية في جوانبها المادية: إذا كانت الفلسفة الوضعية بمناهجها لا تبحث إلا فيما هو محسوس، فإنه لا غرابة أن تتناسى الجوانب الإنسانية كالعاطفة الدينية، وكل ما له صلة بالأخلاق والقيم السامية، بل أن تغالي في الجوانب السلوكية الواقعية وكل ما هو خاضع للقياس الكمي : «فالوضعية تطرح بشكل منهجي كل ما هو خارق وفوق الطبيعة وترفض قبول نظام خاص بالحياة الداخلية مجرد تبريراته العقلية»(4) ولهذا السبب بالذات، اختزلت العلوم الإنسانية الغربية الظواهر الدينية والاجتماعية والأخلاقية في بعض السلوكات الظاهرة للعيان والقابلة للملاحظة والقياس.

من غير المعقول «أن يقوم منهج علمي في بلادنا يحترم نفسه دون أن يستند إلى النص الإسلامي أولا ثم الفكر الإسلامي الذي تفاعل مع مختلف المجالات وقدم إسهامات كبيرة خلال أربعة عشر قرنا، ودون أن يعتني بدراسة التجربة التاريخية الواقعية التي عاشتها الأمة طوال تلك القرون»

3- تعميم مبدأ النسبية في الثوابت: من الثابت أن من شروط علمية المناهج عند الغربيين الحياد الأخلاقي وإبعاد أحكام القيمة وأحكام الواقع، باعتبار أن القيمة الذاتية التي يعتنقها الباحث تمثل أخطر عائق في سبيل التقدم العلمي، فأصبح هذا الشرط شعاراً لتبرير الواقع بكل انحرافاته، وفرض القيم السائدة إيمانا منهم بنسبية الأخلاق، بمعنى أنها تخضع في قبولها أو رفضها إلى نظرة المجتمع لها، وفي هذا الشأن يقول دوركايم أحد المؤسسين لمناهج العلوم الإنسانية: «إن المجتمع هو وحده الذي يشعر بهذا النظام الذي يرمي به إلى التعبير عن نفسه على النحو الذي يدرك به ذاته، فالنتيجة التي تنجم منطقيا هي أنه إذا كان المجتمع هو غاية الأخلاق فإنه أيضا مبدعها»(5)، كما يقول وليام سمبتر: «إن الأعراف تصنع الصواب»(6).

والآن بعد ذكر هذه المنطلقات الثلاث والتي كانت -كما رأينا- نتيجة تحولات ثقافية كبرى على مستوى التفكير ومنهج البحث، والتي لخصها علي شريعتي في كتابه "العودة إلى الذات" بقوله: «إذا كانت الكنيسة قد فرضت النمط الديني في السياسة والاجتماع والتعليم والفن والبحث العلمي...، إذا كانت فعلت ذلك باسم الدين فإن حركة علمانية الحكومة والمؤسسات الإدارية والتشكيلات الاجتماعية يعني تحويل المجتمع والحياة الاجتماعية إلى المحتم والمنطقي: أن المفكر والمحب للإنسانية لا يسعه إلا أن يكون علمانيا»(7).

بعد هذا كله يجدر بنا تحديد خصوصيات المناهج الغربية والأخطاء التي وقعت فيها، والتي يمكن إيجازها في ما يلي:

1-قيام هذه المناهج على رواسب معادية للدين: نتيجة الاستياء الذي عانت منه المجتمعات الغربية من تصرفات الكنيسة، وقد صدق محمد قطب في قوله: «لقد أصبح الطابع المميز للفكر الأوربي منذ النهضة هو التمرد على الدين، والتمرد على الله، وكان ذلك نابعا من تأثيرين في آن واحد»(8) غير أن ما تؤخذ به هذه المناهج أنها أسقطت أفكارها على الدين الإسلامي فأكنت له العداء الكبير والحقد البغيض.

2- اعتبار هذه المناهج أحادية الجانب: ذلك أنها أعطت الأولوية لجانب وضربت عرض الحائط كل الجوانب الأخرى كالجانب المادي على حساب العلاقات الإنسانية، كما أنها كثيرا ما اهتمت برابطة دون الروابط الأخرى كرابطة القومية أو غيرها من الروابط المتعددة، وفي هذا السياق أورد منير شفيق كلاما لطيفا جاء فيه: «وبهذه المناسبة يمكن للمرء أن يلاحظ من خلال تتبع تلك النزاعات في الغرب طبيعة النهج التجزيئي أحادي الجانب، الذي يعتمد على قاعدة إما على هذه الرابطة أو تلك وإما على هذا الجانب أو ذاك»(9).

المنهج الإسلامي يهدف إلى تغيير عادات الناس الواهية والثورة على المتجبرين والمتسلطين على رقاب العباد، فهو بذلك بعيد كل البعد عن أن يكون نظرية للتلقي دون العمل، غير أن ما يميزه عن غيره في حركته التغييرية أنه يستمدها من ضمير الشعب ومعتقداته ووعيه وقناعته، يسعى بشكل حثيث إلى: «أن يخرج تشخيص الواقع ومشروع الحل أو مشروع المستقبل من أحشاء المجتمع ومن قلب أوسع الجماهير»

3- ابتعاد هذه المناهج عن تحقيق التوازن: ذلك أنها أحادية القطب والجانب، كما سبق أن ذكرنا، تراعي في الإنسان جانبا من جوانبه إما جانبه المادي لإشباع غرائزه الطبيعية كالجنس والطعام كما يظهر جليا في المنهج الماركسي المادي، وإما جانبه الروحي والعاطفي كما يتجلى في المنهج الهيجلي المثالي. وفي هذا الصدد يقول منير شفيق: «تتجه غالبية المناهج التي تدعي الاعتماد على العقل إلى رفض ذلك التوازن، وتارة ترفض الأخلاق بدعوى أنها مرتبطة بالمصلحة وبمقتضيات التقدير المادي وتارة ترفض الروادع الإيمانية معتمدة على الرادع القانوني، وطورا تعتبر أن الحل يكون بهذا النمط أو ذاك من أنماط تنظيم الاقتصاد»(10).

وعليه، فإنه إذا تم حصر هذه المزالق - التي هوت بالمناهج الغربية إلى الرذيلة والفحش والانتحار والجريمة والسعي الحثيث وراء المادة وجمعها بالوسائل المشروعة وغير المشروعة- في ثلاث لا غير، فإن ذلك لا ينفي وجود أخطاء ومزالق جزئية تندرج ضمن تلك المزالق الرئيسية نذكر منها بالأساس: اعتقادها الراسخ بالمركزية الأوربية في الفكر والإنتاج.

في سبيل منهج صحيح لدراسة التراث الإسلامي :

من المسلم به أن المنهج يرتبط بالنمط المجتمعي الذي ترعرع فيه، وبتراثه وتجاربه التاريخية والحضارية التي ولد من رحمها، ولهذا فمن غير المعقول «أن يقوم منهج علمي في بلادنا يحترم نفسه دون أن يستند إلى النص الإسلامي أولا ثم الفكر الإسلامي الذي تفاعل مع مختلف المجالات وقدم إسهامات كبيرة خلال أربعة عشر قرنا، ودون أن يعتني بدراسة التجربة التاريخية الواقعية التي عاشتها الأمة طوال تلك القرون»(11).

فالمنهج العلمي الصحيح لدراسة القضايا الفكرية الخاصة بمجتمعاتنا، هو الذي يراعي الشروط التالية:

1- الاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة: باعتبارهما يكونان في تكاملهما دستور الأمة ولاحتوائهما على نصوص ربانية بإمكانها تحقيق تفاعل جماهيري، وتحفيزه على العمل الجاد والهادف والمتواصل من أجل صالح هذه الأمة ونهضتها.

2- الاستفادة من التراث الفكري الإسلامي: «لأنه يزود المنهج الصحيح بعدد من المقولات والنماذج التي تساعده على رؤية القضية موضوع البحث ضمن المنطق الداخلي للإسلام والنمط المجتمعي الحضاري الإسلامي»(12)، خصوصا إذا علمنا مدى غنى هذا الفكر وتنوع اتجاهاته ومذاهبه وكذا اجتهاداته.

3- الاعتناء بدراسة التجربة التاريخية للأنماط المجتمعية الإسلامية، لمعرفة الآليات التي تحكمت في مسيرتها التاريخية وسمات حركتها الحضارية في مظاهرها الواقعية والملموسة، دون إغفال حركتها التاريخية في مرحلة ما قبل الإسلام، حتى تكون الدراسة موضوعية أولا وحتى نغلق أفواه أولائك المتغربين ومقولاتهم ثانيا، والتي ترتكز على هذه المرحلة بالذات فتقدمها بمنظورها الأوربي، كما يظهر بين الفينة والأخرى من دعاوى إحياء الفرعونية والفنيقية والبابلية والآشورية والسومرية والكنعانية والعصور الحجرية، وهي في حقيقتها موجهة «ضد وحدة الأمة من جهة وضد الإسلام من جهة ثانية ومن ثم إنها ارتماء في أحضان التجزئة الاستعمارية من جهة ثالثة ودعوة إلى الصنمية والوثنية والجاهلية من جهة أخرى»(13).

والهدف من اشتراط ما سبق ذكره هو أن ترتسم على محيا كل منهج -محترم لهذه الشروط- سمات المنهج الإسلامي الأصيل التي تميزه عن غيره والتي يمكن حصرها في ما يلي:

1- منهج رباني وتوحيدي: منهج رباني مؤسس على تعاليم وتشريعات

تتمة : ص 15

مجرد رأي

لعنة غزة...

... لا تزال دماء الشهداء من الأطفال والعجائز والنساء في غزة تلاحق مُجرمي الحرب الصهاينة وكل من ساندهم في السر والعلن من مُنافقي هذا الزمن الأغبر. فلم نر حكام "إسرائيل" ومجرميها ومعهم دهاقنة الحكومة الأمريكية في وضع أهون ولا أذل ولا أخزى من وضعهم وهم في قاعة حقوق الإنسان الدولي إبّان التصويت بالإيجاب على تقرير "كولدستون" والمصادقة على جميع توصياته بدون تحفظ يوم الجمعة الماضي. وهذا انتصار رباني بكل المقاييس لدماء شهداء غزة وفلسطين عموما، وانتصار لصمود أهل غزة الأسطوري، وانتصار لملايين الحناجر التي خرجت في شوارع العالم تأييدا للحق الفلسطيني ودفاعا عن سكان غزة. مُدينَة -في الوقت نفسه- الغطرسة الصهيونوأمريكية والسكوت الرسمي العربي المذل.

إن قراءة سريعة لمجريات عملية التصويت على التقرير الجري V تعطينا بعض المؤشرات الايجابية لكولدستون والتي تدل بما لا يدعو للشك أن الأمور بدأت تتغير وأن السحر الصهيوني بدأ ينقلب على جميع السحرة والمخدوعين، وأن الظلم ساعة والعدل والحق لقيام الساعة... وأن نجم الاستكبار بدأ في الأفول وأن منسأته بدأت في التصدع وبدأت العديد من الدول تضيق ذرعا بالهيمنة الأمريكية والدلع الصهيوني والذي لا حد له.

وقائع عملية التصويت ومداخلات مندوبي الدول المشاركة كشفت العديد من الأشياء من أبرزها :

1- زَيف وكذب الخطاب التبريري للسلطة الفلسطينية والتي حاولت تبرير خطيئتها بأن طلبها بتأجيل التصويت على التقرير سابقا كان بسبب عدم تأييد الدول الكبرى خاصة الصين وروسيا للتقرير.. فظهر أثناء التصويت الأخير بأن هاتين الدولتين ومعهما الهند كانتا من أكبر المتحمسين للتصويت لصالح التقرير..

2- بروز كتلة العالم المستضعف -ومن ضمنه العالم الإسلامي والعربي- كقوة قادرة -إن أرادت- أن تنتصر لقضاياها في المحافل الدولية لما تتمتع به من ثقل سياسي واقتصادي في عالم بات يشهد تفكك وانهيار اقتصاد الاستكبار العالمي ناهيك عن الأزمات والحروب والكوارث الطبيعية التي تسبب فيها وهو يلهث وراء شهواته وجشعه حتى استنفذ جميع الثروات الطبيعية ودمر التوازن البيئي. وأهلك الزرع والضرع.

3- حقيقة أن القضية الفلسطينية هي القلب النابض والمحرك الأساسي لكل محاولة جادة من أجل خلق تكتل قوي لجمع العالمين الإسلامي والعربي مع جميع مستضعفي الأرض والشرفاء ومُحبي السلام والعدل، فوق هذا العالم الذي أصبح يئن من شدة الظلم والاستكبار والطغيان...

4- بداية ظهور قوى إقليمية إسلامية وغير إسلامية على مسرح الفعل الدولي، وأكبر هذه القوى تركيا والتي بدأت حكومتها الإسلامية بقيادة "رجب طيب أردوكان" تتحدى الكيان الغاصب وراعيته أمريكا، بدأت التحدي إبان مجزرة غزة عندما قام أردوكان بالرد التاريخي والجريء على شمعون بيريس في مؤتمر "دافوس" والذي كشف من خلاله عن الجرائم الصهيونية في غزة وقبل غزة. انصرف الرجل البطل من المؤتمر وبقي "عمر موسى" الأمين العام للجامعة العربية يتابع الادعاءات الصهيونية، وكأن على رأسه الطير؟!

ومن يومها بدأت تركيا تحتل مكانتها المرموقة في قلوب الملايين من المسلمين والمستضعفين عبر العالم وبدأ إيوان "الكيان الصهيوني" المزعوم في التصدع ويستمر كذلك إلى أن تزول نهائيا، ﴿ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله﴾، ويندحر المهزومون والمهرولون بسخط من الله والناس أجمعين.

5- تراجع نفوذ الحكومة الأمريكية وانحسار هيمنتها في المحافل الدولية، فحتى الدول التي كانت دائما تسير في ركبها ولا تكاد تعصي لها أمراً -كفرنسا وبريطانيا- قررت الإمتناع عن التصويت تاركينها لوحدها تقريبا في بحر لجيٍ من اللمز والانتقادات ولسان حال مندوبها يبكي زمن العز ويتأسف على تفرق الحلفاء من حوله.

آخر تحدٍ سمعته -وأنا أكتب هذا المقال- هو تحدي القاضي گولدستون للحكومة الأمريكية بأن تثبت أي خلل في التقرير الذي أعده حول مجزرة غزة كما اتهم الدول التي لم تصوت لصالح التقرير بأنٍ جل مندوبيها لم يكلفوا أنفسهم عناء قراءة التقرير بعناية وترو...

هذه بداية الغيث وبداية الغيث قطرة حفظنا الله وإياكم من المفسدين في الأرض وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذ . عبد القادر لوكيلي

مواقف

دكان الثقافة

ذة. أمينة المريني

نعم..إنه دكان الثقافة.. فكرة خطرتْ ثم بدَتْ خيالية، ثم ممكنة في النهاية.. بعض الأفكار تولد في لحظات خاصة.. غير أنها قد تكون مراحا ومستراحا من ضغط واقع عصيب..

دكان الثقافة -أيها الإخوة- ليس مشروعا تجاريا ولا صفقة وإنما هو دكان... تماما كدكاكين المواد الغذائية والخضر واللحوم... لكنه دكان لا موازين فيه ولا مكاييل ولا عمال ولا خَدَم... يفتح باكرا ويغلق إذا أطبق الليل... لا يؤمه زبناء بقُفَف أو أكياس وربما لن يساومنا على بضاعتنا أحد.. على أنه سيكون شاهدا على أن للثقافة في هذا البلد سوقاً كاسدةً وبضاعةً بائرة.

في دكان الثقافة أيها الإخوة منبر للخطابة ومكبر صوت وكتب لكُتاب مغاربة نقتنيها لا للبيع ولكن لتظل شاهدة على أنهم مروا يوما من هنا.. ما دامت كتبهم لا تُباع بل تخزن حتى تأكلها الأرضَةُ ويذهب بجدتها الزمان.. وتطوى في أكفان النسيان.

إن لذكر الثقافة في هذا البلد مرارة وأي مرارة؟! فقد مرت بالمثقفين سنوات عصيبات عانَوْا فيها من أشكال الثقافة الحزبية، ثقافة استقوت وحالت مع المُوالين ولكنها لم تترك صدى لأسمائهم إلا ما يتركه الطبل من دوي في الفلوات. وكنا إذا أردنا أن نقيم احتفالاً ثقافيا نصبح ملزمين بالكشف عن هوياتنا التي كانت حينها نشازا في أعين القيمين..

وما كدنا نتنفس الصعداء لفترة ذهبية حتى غُلقت الأبواب من جديد ووجدنا أنفسنا مضطرين لأن نكابر ونكابد ونقتطع من أقواتنا وأرزاق أبنائنا لنحقق الحلم ونضع الوزر ونُجمِّل واقعا مشوها لأننا ببساطة كنا نجمل مشروعا ثقافيا ضخما مفاده أن نُعِدَّ أجيالا قارئة وكاتبة بشكلٍ راقٍ وبمفهوم سامٍ وواعٍ بدور الكلمة في الرقي بالإنسان فكرا وخُلقا وروحا. وهي مسألة لا يمكن للمدرسة ببرامجها الجامدة أن تحلها. إنما تحلها رؤية ثقافية واعية بأهمية الثقافة في النهضة والتغيير والتطوير، رؤية يكون من بين أولوياتها تأهيل الإنسان لأن يقرأ ويستوعب ويكتب كتابة تناسب الفطرة النقية التي خلق عليها.

إننا نريد للثقافة أن تكون كالخبز اليومي، وأن يتصدر الكتاب والجريدة والمجلة البيت عوض المزهرية الفاخرة والوسادة المطرزة.. نريد للنشء أن يدرك دور الكتاب في رقي الأمة. على أن الثقافة في بلدنا تظل آخر الاهتمامات لدى أغلب السلالم الاجتماعية بدءاً بالقيمين وانتهاءً بالقاعدة الواسعة.

إن لكل اهتمام موسما.. يأتي رمضان الكريم فيتنافس الناس في الولائم والأكلات لإتخام البطون.. ويعود عيد الأضحى فيتسابقون لشراء ذوات القرون والشحوم... ويقبل الصيف فيقيم المسحوقون في أتون الصفيح بينما يسرح الميسورون نحو المصطافات كل على هواه ثم تنزل السنة الدراسية بقواصمها وقواضمها فيدخل الخَلْقُ في متاهات الكتب الغالية و المتطلبات المدرسية الباهظة، حتى إذا فضل حيز من الوقت لم تبقَ للثقافة إلا مواسم الأولياء والسادات والصالحين.. ومهرجانات الطبول والخصور والأرداف.. وسهرات المغنين.. وقد يجتمع للمغني الواحد من الجماهير ما لا يجتمع لمفكر أو روائي أو شاعر. وقد يموت الناس في ساحات الغناء رفسا تحت الأقدام ولا يموتون حبا في كتاب أو ذودا عن فكرة.

لكل ما تقدم جاءت فكرة دكان الثقافة الذي يسعدنا ألا نعقد فيه صفقة، والذي سيكون دكانا غريبا بين الدكاكين، صامتا صمت القبور غير أنه شاهد إدانة على أن الثقافة في بلدنا يتيمة مقهورة منبوذة.. بائن... لا بواكي لها.

أخيرا سنكون سعداء بأن نستقبلكم أيها المثقفون العصاميون في دكاننا لنوثق بالصوت والصورة مراراتِكم وإحباطاتِكم والدعوة عامة.

تتمة : دور الأنظمة العربية.....

ما يرتبط بذلك من نتائج خطيرة في ميدان استيراده والتدريب عليه والخبراء المرافقين له وشروط استخدامه ضد كل عدو حقيقي أو وهمي.. إلا العدو الإسرائيلي الأخطر والغاصب للأرض والمهيمن على مصير المنطقة، ومن أخطر ما وصل إليه هذا التخلف هو تحويل قضية الأمن الخارجي في بلادنا إلى "أمن إقليمي" بمشاركة بعض الأطراف العربية وأعداء دوليين علاوة على العدو الصهيوني الإقليمي؛ ضد أطراف أخرى من داخل صفوفنا، علاوة على تحويل قضية " الأمن الداخلي" إلى قضية ضرب كل من يتعرض بسوء لأمن العدو والسلام معه، ولو كان الثمن إراقة دمائنا بأيدينا، وزرع العداوات وزيادتها بين دولنا.

كما أن من أخطر ما وصل إليه التخلف في تصنيع السلاح تبعا لذلك، هو "تهجير الأدمغة العربية" القادرة في الأصل على الإسهام في استعادة سيادتنا على أمتنا، أو هو عدم توفير ظروف قويمة وآمنة لعودتها، ثم التراجع السياسي الانهزامي أمام أطروحات احتكار الأسلحة المتطورة على المستوى الدولي باسم حظر انتشارالسلاح النووي منها وتوجيه الضربات المباشرة لمن يصنع - كالبلدان المحتكرة - أسلحة كيماوية أو حيوية، أو حتى أسلحة متطورة أو تجهيزات تقنية تصلح يوما ما لصناعتها.. ووصل هذا التراجع إلى الحضيض في التجاوب المباشر أو الضمني مع انفراد الكيان اليهودي الباطل بالاحتكار الإقليمي للسلاح المتطور أيضا، إلى درجة إلغاء برامج تصنيع كانت قائمة، ومشاركة القوى الدولية في توجيه الضربات لمن يكسر هذه الحلقة المفرغة من دول المنطقة التي لا يعني ذلك تبرئة أنظمتها من حمل قسطها من المسؤولية عن الخضوع المشترك لسياسة الحصار والرعب وممارستها تجاه بلادنا العربية والإسلامية جميعا، بدرجات متفاوتة.

إن الانتصارات، وكذلك الهزائم العسكرية، كانت ولا تزال نتيجة مجموعة من العوامل التي لا تنشأ تلقائيا بل تُصنع، وقد أتقنت أنظمة الحكم في البلدان العربية صناعة عوامل الهزيمة لا النصر، ولن تبدأ صناعة عوامل النصر قبل الإقرار بالمسؤولية عن ذلك، وتبديل المناهج التي سارت وتسير عليها الأنظمة، في عصر النكبات والهزائم والضياع.

ورغم الأخطاء التي ارتكبتها منظمات العمل المسلح الفلسطيني، فإن ظهور العمل الفدائي في ظل الهزائم العسكرية كان بداية قابلة للنماء على قدر ما يجده من دعم ورعاية ومن تقويم أيضا، ولكنه وجد الدعم على قدر ما تطلبه استغلاله والانحراف به لأغراض سياسية أخرى غير هدف التحرير الأصيل، ثم وجدت المكافحة المباشرة من جانب الأنظمة العربية بما يتجاوز حجم ضربات العدو الإسرائيلي "المشترك" ومفعولها أضعافا مضاعفة.

كذلك فإن ما تستهلكه الأنظمة من طاقات كبرى ونفقات مالية ضخمة لتبقى العلمانية سيادتها رغم هزائمها - بوسائل القمع الداخلي - قد وصل إلى مستويات يستحيل معها القبول بأي مبرر أمني مزعوم مهما كان شانه، فقد تحول ذلك القمع من حيث الممارسة والنتائج إلى جزء عضوي من المخطط الدولي والصهيوني لقتل أية نواة للمقاومة داخل الأرض الإسلامية، لا سيما المحيطة بالأرض الفلسطينية المغتصبة، ولا سيما أيضا عندما أصبح العمل الفدائي الفلسطيني عملا إسلاميا، ووضع الأقدام لأول مرة على بداية الطريق نحو هدف التحرير الشامل الكامل الأصيل.

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

موعظة

قال وهب بن منبه: لما استخلف النبي داود ابنه سليمان عليهما السلام، وعظه فقال: يا بني، إياك والهزل؛ فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان. وإياك والغضب؛ فإن الغضب يستخف صاحبه. وعليك بتقوى الله وطاعته؛ فإنهما يغلبان كل شيء. وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء؛ فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا براء. واقطع طمعك عن الناس؛ فإنه هو الغنى. وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر. وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل. وعود نفسك ولسانك الصدق؛ والزم الإحسان؛ فإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل. وصل صلاة مودع، ولا تجالس السفهاء، ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين. وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك. وارج رحمة الله فإنها واسعة وسعت كل شيء.

نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري

من سيرة عمر بن الخطاب ﷺ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمسلمين بعد أن تولى الخلافة:

إني كنت أمرأً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنه يحل لي في هذا المال؟ -وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ساكت-. فأكثر القوم، فقال: ما تقول يا علي؟ فقال: ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره. فقال القوم: ما قال علي. فأخذ قوته واشتدت حاجة عمر، فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياها في رزقه. فقال عثمان: هلموا فلنستبرىء ما عنده من وراء وراء، فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمر. فلقيت عمر في ذلك، فغضب وقال: من هؤلاء لأسوءُهم؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم. فقال: أنت بيني وبينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع. قال: فأي الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: حرفاً من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها. قال: وأي مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء ثخين كنا نربعه في الصيف، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه. قال: يا حفصة فأبلغيهم أن رسول الله ﷺ، قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالتزجية، فوالله لأضعن الفضول مواضعها ولأتبلغن بالتزجية، وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد تزود فبلغ المنزل، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثم اتبعه الثالث فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما ألحق بهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما.

الكامل في التاريخ لابن الأثير

التأدب في الجواب

قيل إن رجلاً سأل العباس رضي الله عنه : أأنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله.

وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي: أأنت سعيد؟ قال: أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة.

وقال المأمون للسيد بن أنس: أأنت السيد؟، قال: أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس.

وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه: أأنا أطول أم أنت؟ قال: الأمير أطول، وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل.

وصية

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان أبو الحسن البزاز،قال: حدثنا أبو غسان، عن عبد الله بن محمد بن يوسف بالقلزم، قال: حدثني عبد الله بن محمد اليماني، عن علي بن يوسف المدائني، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن علي ، فقلت: يا ابن رسول الله أوصني، فقال: يا سفيان! لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا خلة لبخيل، ولا أخاً لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق ، قلت يا ابن رسول الله، زدني، قال: يا سفيان! كف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك تكن مسلماً، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمناً، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى، فقلت: يا ابن رسول الله: زدني، قال: يا سفيان! من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله تعالى إلى طاعة الله عز وجل، قلت: يا ابن رسول الله زدني قال: يا سفيان أدبني أبي بثلاث وأتبعني بثلاث، قلت يا ابن رسول الله! ما الثلاث التي أدبك بهن أبوك؟ قال: قال لي أبي: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم. ثم أنشدني:

عود لسانك قول الخير تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

قال: فقلت: فما الثلاث الأخر؟ قال: قال أبي: إنما يتقى حاسد نعمة، أو شامت بمصيبة، أو حامل نميمة.

الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكرياء

حوار نادر

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذا أنا بسواد على الطريق، فتميزت ذاك، فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت: ﴿سلام، قولاً من رب رحيم﴾. قال: فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان. قالت: ﴿ومن يضلل الله فلا هادي له﴾. فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾. فعلمت أنها قد قضت حجها، وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع. قالت: ﴿ثلاث ليال سويا﴾. فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين. قالت: ﴿هو يطعمني ويسقين﴾. فقلت: فبأي شيء تتوضئين؟ قالت: ﴿فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾. فقلت لها: إن معي طعاماً، فهل لك في الأكل. قالت: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾. فقلت: ليس هذا شهر رمضان. قالت: ﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾. فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر. قالت: ﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾. فقلت: لم لا تكلميني مثل ما أكلمك. قالت: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾. فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾. فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حل، قالت: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾. فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة، قالت: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾. قال: فأنخت ناقي، قالت: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾. فغضضت بصري عنها وقلت لها: اركبي، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فقلت لها: اصبري حتى أعقلها، قالت: ﴿ففهمناها سليمان﴾. فعقلت الناقة وقلت لها: اركبي فلما ركبت قالت: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾. قال: فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصيح فقالت: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾. فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر، فقالت: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾. فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً، قالت: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾. فلما مشيت بها قليلاً قلت: ألك زوج؟ قالت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم﴾. فسكت، ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾. فعلمت أن لها أولاداً فقلت: وما شأنهم في الحج؟ قالت: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾. فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً، يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾. فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس قالت: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾. فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي فقالت: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾. فقلت: الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها، فقالوا: هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

حكم

قال ملك لوزيره: ما خير ما يرزقه العبد؟ قال: عقل يعيش به، قال: فإن عدمه، قال: أدب يتحلى به، قال: فإن عدمه؟ قال: مال يستره، قال: فإن عدمه؟ قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد.

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، أنبأنا أبو حاتم ، عن العتبي، عن أبيه قال: كان رجلٌ من حنظلة يقول: إنه لينبغي لك أن يدلك عقلك على ترك القول في أخيك، ففيه خلالٌ ثلاث: أما واحدةٌ فلعلك أن تذكره بما هو فيك، أو لعلك تذكره بأمرٍ قد عافاك الله منه، فما هذا جزاء العافية أن تجحد الشكر عليها. أو لعلك تذكره بما فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكاماً لمقته إياك، أما كنت تسمع: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك.

الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكرياء

طرائف

قال رجل لصاحب منزل: أصلح خشب هذا السقف فإنه يقرقع. قال: لا تخف فإنه يسبح. قال: إني أخاف أن تدركه رقة فيسجد.

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

7— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

المقاربة وما يقصد بها في الاستعمالات الجديدة (3 - د)

د. الحسين گنوان

لاحظنا في كل ما سبق أن الاستعمالات الجديدة لكلمة (المقاربة) خارجة عن قواعد اللغة العربية : من معجم، وتصريف ونحو، ولم يبق إلا احتمال واحد يمكن أن يشفع لهذه الاستعمالات إن صحت نسبتها إليه هو "التضمين" ذلك أنه قد يقال إن للكلمات دلالات سياقية تخرجها عن إطار ما ذكر من القواعد، حيث تتضح دلالاتها سياقياً فتكتسب معاني مجازية خارجة عن إطار قيود المعجم والنحو والتصريف. إجابة عن هذا السؤال المحتمل نعود إلى الأمثلة التي ذكرناها في الحلقة الأولى (عدد 323) محاولين ضبط دلالة هذه الكلمة في كل منها، ثم عرضها على قاعدة التضمين التي هي معيار مثل هذا النوع من الاستعمالات في نظام اللغة العربية وهي :

1- مقاربة النوع والتنمية : وهذا عنوان لكتاب يقول مؤلفه في إحدى صفحاته : الغاية من هذا الكتاب بيداغوجية توضيحية تروم مقاربة النوع للجمهور العريض..

2- مضى عهد الإرهاب مع الرئيس... أما الرئيس أوباما (ف) له مقاربات جديدة.. «نشرة إذاعية».

3- دعوة الدولة للتخلي عن المقاربة الأمنية (مع) الأطر المعطلة... وأوضح المصدر ذاته أن المشاريع المقترحة ينبغي أن تتمحور حول تعزيز قدرات الفاعلين المحلّيين والنهوض بحقوق الإنسان... وكذا مقاربات التنمية. "جريدة محترمة".

4- ...وعن العمال في الصحراء : فهم ضحية مقارباتك الأمنية حين كنت في الداخلية.. «جردية محترمة».

الملاحظ أن كلمة المقاربة وردت خمس مرات في النصوص أعلاه، والسؤال هو ما دلالتها في كل سياق، وفي أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي العربي يمكن أن تناقش؟

يبدو أن الكلمة الأولى في النص الأول (1) لا يمكن ضبطها سياقيا لأنها وردت في عنوان مجرد عن السياق، أما الكلمة الثانية الواردة في عبارة «مقاربة النوع للجمهور» فإن القصد الذي يفهم منها هو «تقريب النوع» وعليه يكون فعله «قرَّب» لا «قارب»، وهذا ما يفقد اللغة قيمتها التعبيرية كما ورد في العنوان. أما الكلمة الثالثة الواردة في النص (2) «مقاربات جديدة» فيمكن أن تحمل على معنى «الإجراءات» في حين أن الكلمة الرابعة الواردة في النص (3) «التخلي عن المقاربة الأمنية» فيمكن أن تحمل على معنى «الممارسة أو المعالجة». وهكذا لو تتبعنا مثل هذه الاستعمالات لكلمة المقاربة فإننا نخرج بنتيجة هي : أنه كلما عجز المتكلم عن إيجاد كلمة مناسبة لمعنى من المعاني، يجد المتنفس في كلمة المقاربة، وهذا ما يفتح الباب واسعا أمام الأهواء الشخصية للانفلات من قواعد اللغة التي تضمن التواصل الدقيق لمستعمليها.

والملاحظ أن هذه الاستعمالات لا تخضع لقاعدة التضمين لعلتين : أولاهما أن «التضمين : هو إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الأسماء والأفعال والحروف.. وهو في الأفعال أن تضمن فعلا معنى آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعا، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف (معين) فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به.. ومثاله قوله تعالى : ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ فقد ضمن يشرب معنى يروي لأن فعل شَرب لا يتعدى بالياء، وإنما يتعدى بنفسه ولما ضمن معنى يروي دخلت عليه الباء، لأن الياء تدخل على فعل يروي، والفائدة أن شرب هنا تضمن معنى الفعلين معا، شرب، روى، ومثال آخر هو قوله تعالى : ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ نلاحظ أن فعل (خلا) تعدى بحرف (إلى) لأنه تضمن معنى (ذهب)، وفعل ذهب هو الذي يتعدى بحرف (إلى) في حين أن فعل (خلا) يتعدى بحرف (الباء)، ولكنه لما ضمن معنى (ذهب) تعدى بالحرف الذي يتعدى به ذهب وهو إلى..(البرهان /390 3 بتصرف).

والسؤال هل كلمة المقاربة في الاستعمالات أعلاه وما يشبهها تتضمن معاني الأفعال التي أولت بها اجتهادا وفق نظام اللغة العربية؟ ذلك أن التضمين يخضع لأحد المفاهيم الكبرى التي تصنف ضمنها قواعد اللغة العربية وهما السماع والقياس «والتضمين سماعي لا قياسي وإنما يذهب إليه عند الضرورة، أما إن أمكن إجراء اللفظ على مدلوله فإنه يكون أولى.. وفائدة التضمين هي أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ...(الكفوي 266-268).

هذا وجه من أوجه التضمين الذي رجونا مخلصين أن تندرج تحته الاستعمالات الجديدة لكلمة المقاربة، لكن الأمر غير ذلك، لأن هذه الاستعمالات لا يتحقق فيها الانتماء الشرعي المطلوب لقواعد اللغة العربية الذي هو السماع، ولا نحقق فائدة التضمين التي هي أداء الكلمة مؤدى كلمتين.

ويتلخص من كل ما قلناه بالنسبة لكلمة المقاربة التي تخطّى مستعملوها كل هذه الحواجز ليوظفها كل واحد بالشكل الذي يريده هو لا كما تقتضي قواعد اللغة العربية، يتلخص من كل ذلك أن اللغة العربية تعيش لحظة خطيرة في حياتها، لحظة المسخ والتحريف، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تتمة : آفة إسقاط المناهج الغربية على التراث الإسلامي

العليم الحكيم بطبائع البشر وحاجاتهم، يعتمد على آصرة العقيدة لتوحيد الوجهة والمشاعر والأهداف، جاعلا بذلك كل الأواصر المختلفة كآصرة الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح الفردية في خدمة الآصرة الأم، وقد كان من ثمراته اليانعة على أرض الواقع «أن اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونيسي والإفريقي... إلى آخر الأقوام والأجناس، فتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة ومتناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية»(14).

ومنهج توحيدي عقيدته أسست على عبارة خالدة إلى الأبد ألا وهي "لا إله إلا الله" والتي تعد «ثورة على السلطان الأرضي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية وثورة على الأوضاع التي تقوم على قاعدة من هذا الاغتصاب»(15).

2- منهج واقعي عملي جاد: يواجه كل واقع بشري منحرف حتى ينقاد لشرع الله مستعملا في ذلك جميع الوسائل المشروعة، فالمنهج الإسلامي يهدف إلى تغيير عادات الناس الواهية والثورة على المتجبرين والمتسلطين على رقاب العباد، فهو بذلك بعيد كل البعد عن أن يكون نظرية للتلقي دون العمل، غير أن ما يميزه عن غيره في حركته التغييرية أنه يستمدها من ضمير الشعب ومعتقداته ووعيه وقناعته، يسعى بشكل حثيث إلى: «أن يخرج تشخيص الواقع ومشروع الحل أو مشروع المستقبل من أحشاء المجتمع ومن قلب أوسع الجماهير»(16).

3- منهج يحقق التوازن: يعطي كل ذي حق حقه لا يزيده قلامة ظفر ولا ينقصه قدرها، كما يحرص على إقامة العدل عند إقامة الميزان بين مختلف الأطراف والجوانب، غير أن الذي صانه عن الزيغ تمسكه بالمبدأ التوحيدي، هذا المبدأ الذي يشحذ الهمم ويرفع الإنسان عن السكون الأرضي إلى العمل بتوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة.

وخير ما نختم به أنه بفضل هذا المنهج الإسلامي الأصيل «ارتفعت البشرية في نظامها وفي أخلاقها وفي حياتها كلها إلى القمة السامقة التي لم ترتفع إليها من قبل قط والتي لم ترتفع إليها من بعد إلا في ظل الإسلام»(17). فهل إلى عودة من سبيل؟

---

1 - مجلة المنعطف ع 9 ص 85-86 من مقال " العلوم الإنسانية في المنظومة الغربية: دراسة نقدية في الأسس المنهجية" ذ. محمد أمزيان
2 - نفسه، ص 85-86
3 - نفسه،ص 86
4 - نفسه، ص 93
5 - نفسه، ص 85-86
6 - زويد المطري: "الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع" ص 67.
7 - مجلة المنعطف ع 9 ص 84
8 - محمد قطب "مذاهب فكرية معاصرة" ص 458.
9 - منير شفيق "الإسلام في معركة الحضارة " ص 101.
10 - نفسه، ص 140.
11 - نفسه" ص 187.
12 - نفسه، ص 187.
13 - - منير شفيق "ردود على أطروحات علمانية " ص 49.
14 - سيد قطب "معالم في الطريق" ص 59.
15 - نفسه، ص 26.
16 - منير شفيق "الإسلام في معركة الحضارة" ص 194.
17 - سيد قطب " معالم في الطريق" ص .34

بِنَبْضِ القلب

محاولة لفهم ما حصل؟!!

خلال المدة الفاصلة بين العدد الماضي من "محجتنا الغراء" وهذا العدد الذي بين أيدينا، استوقفتني عدة أحداث شهدتها منطقتنا العربية أو كان لها علاقة بنا، وكان لابد من التوقف لمساءلة الأحداث، لعلنا نخرج بشيء من الفهم الذي يزيل عنا قليلا من الغشاوة وكثيرا من الغباوة..

1- الحدث الأول : ما هكذا يا شيخ الأزهر تُورد الابل :

في زيارة لأحد المعاهد التابعة لجامعة الأزهر، فوجئنا بشيخ الأزهر وهو يوبخ فتاة في الاعدادي منتقبة، وياليت الأمر وقف عند حد التوبيخ، فقد بيَّنَ سيد طنطاوي عن نظرته الدونية للآخر حينما طلب من التلميذة نزع نقابها، فلما نزعته قال لها في تهكم : (أُمَّالْ لو كنت جميلة كنت عمَلْت إيهْ) فهل بهذا التصرف تكون القدوة الحسنة يا شيخنا؟!!.. ودفعا للحرج الذي أوقع فيه شيخ الأزهر هذه الفتاة البريئة، تدخلت إحدى المدرسات وقالت له : إن الفتاة لا تضع النقاب داخل الفصل مادام لا يضم سوى البنات، وقد وضعته لما دخلت سيادتكم والوفد المرافق لكم، فكان رد شيخ الأزهر زيادة في التمادي والترفع (أنا أفهم في الدين أحسن منّكْ ومن اللّى خَلّفُوك).. يا سلام يامن أنيطت به مهمة السهر على تعاليم الإسلام في أرض الكنانة؟!!..

2- الحدث الثاني : السلطة الفلسطينية وتقرير غولدستون :

بحثت في قواميس الانبطاح، وفتشت في كل نواميس الهزيمة، فلم أجد تفسيرا واضحا لقرار السلطة ورئيسها في رام الله من سحب قرار غولدستون الذي يكشف الجرم الصهيوني في حرب غزة، وبدل أن يعترف عباس بالخطأ الذي قام به، نجده يوجه سهامه إلى حماس "إمارة الظلام" على حد قوله، وينعتها بأقدح الصفات، وكأن حماس أمست هي العدو الذي يجب استئصاله وليس المحتل الصهيوني!! نقطة إلى السطر...

3- الحدث الثالث : أُكتموا غيظكم : أوباما يفوز بجائزة نوبل للسلام .... يا سلام!!! :

لم يمض سوى تسعة أشهر في البيت الأبيض، أي أنه بلغة الشارع المغربي (مازال ما سخّنْشْ بلاصتو)، ولم يظهر أي شيء يبصم مواقفه السياسية : فلا غوانتنامو أُغْلِق ولا العراق استقرّ.. ولا أفغانستان تدمقرطت... ولا..ولا.. فما الذي دفع دهاقنة "أوسلو" لتوشيح هذا الرجل -الذي فشل في إعادة الاستقرار حتى للدولار الأمريكي الذي بات وضعه سيئا في أسواق المال العالمية- بأعلى الجوائز الدولية... أليس هذا هو النفاق السياسي، والغريب وليس في سياسة النفاق ما هو غريب أن جوائز نوبل لهذه السنة لم تعرف سوى اتجاه واحد، هو العقل الأمريكي الألمعي : فجائزة نوبل في الطب منحت لثلاثة أطباء أمريكيين، و في الفيزياء أسندت لأمريكي واسترالي (يحمل الجنسية الأمريكية) وبريطاني (يحمل أيضا الجنسية الأمريكية)... وكذلك في الاقتصاد منحت الجائزة للأمريكيّيْن.. صدق من قال :

في الأرضِ مخلوقان
إنس وأمريكان(*)!!

(*) لافتة شعرية لأحمد مطر

ذ. أحمد الأشهب

بارقة

يا قادة العرب والمسلمين ماذا تنتظرون؟ إن ثالث الحرمين على وشك السقوط !!

د. عبد السلام الهراس

يمثل العالم الإسلامي وفي مقدمته العرب قوة عظيمة بل عظمى بما حباه الله بها من ثروات وكنوز في باطن الأرض وعلى ظهرها وفي البحار والصحاري والمواقع الاستراتيجية، وأهم ثرواتها شعوبها واستعدادها الدائم للجهاد في سبيل الله ولمواجهة الأخطار بما يقتضيه الموقف، وأقل درجات الجهاد التهديد بمقاطعة كل دولة تساند العدوان الصهيوني، وقد أكرمنا الله بسقوط الغرب سقوطا اقتصاديا مريعا وهزائمه الفظيعة على يد شعب بدوي بسيط بزعامة طالبان حتى أن كبار قادتهم العسكريين يصرحون أن الاستمرار في حرب أفغانستان لا جدوى منه وأن حلفهم الناتو دخل هذه الحرب دون استراتيجية واضحة، وأن المضي في هذه الحرب محكوم عليه بالإخفاق ومزيد الفشل.. إن شرذمة قليلة من طلاب العلوم الشرعية وشيوخهم هزموا الحلف الأطلسي ومن معه من دول أخرى، وقد شاهدنا أن القدر يساعدهم في تساقط بعض الطائرات الحوامة وهي تتصادم فيما بينها، وأن كثيرا من الجنود يعودون إلى بلادهم يُعانون أمراضا نفسية وعقلية مزمنة.

إن الصهاينة المجرمين أضعف بكثير من الحلف الأطلسي وهم جبناء لا يقدرون على مواجهة المقاومة الفلسطينية المحاصرة من الداخل بالقوة البوليسية الفلسطينية السلطوية التابعة للجنرال دايتون التي تعتقل المجاهدين والفدائيين كل يوم وتقتل بعضهم.

إن مشاهد البطولات العظيمة للمقاومة الشعبية الفلسطينية للقوات البوليسية الصهيونية بالحجارة وبالأحذية صباح مساء وأفرادها مرابطون داخل المسجد الأقصى، يجب أن تهز مشاعرنا وتشعرنا بواجباتنا نحوها.. فأين أنتم يا قادة العرب والمسلمين؟ إنكم مسؤولون أمام الله... استثمروا القدرات والإمكانيات، اتركوا شعوبكم تعبر عن غضبها بتخصيص أسبوع أو أسبوعين للمسجد الأقصى، افتحوا المعابر والحدود ليشترك الجمهور العربي والإسلامي وغيرهما من جميع الجنسيات في مقاومة الصهاينة بالحجارة والأحذية.

لقد أحرق الصهاينة منذ سنوات قريبة المسجد الأقصى، والآن يحاولون أن تقتحمه جماعة من الإرهابيين لاحتلاله وطرد المسلمين منه وربما قريبا سيفجرونه، فماذا أنتم فاعلون يا قادة العرب والمسلمين؟

لعل الشاعر أبا ريشة صادق إذ يقول:

رُبَّ وَامُعْتصماه انطلقتْ
مِلْءَ أفواه الصبايا اليُتَّم
لامستَ أسماعهم لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم

أين أنت أيتها الجامعة العربية ؟ أين أنت أيها المؤتمر الإسلامي ؟ أين أنتم أيها العلماء الوارثون تراث رسول الله ﷺ؟ إن التاريخ يكتب.. فليختر كل واحد منكم مكانه في هذا التاريخ. إن الأبرار لفي عليين... وإن الشياطين الخرس لفي أسفل السافلين.

المؤسسات التعليمية والإعلامية والوحدة الثقافية للمسلمين

أ. د. عماد الدين خليل

لا يناقش أحد في الدور الخطير الذي يمكن أن تمارسه مؤسسات التربية والتعليم والثقافة والإعلام في صياغة الوحدة الثقافية للأمة الإسلامية، أو الاقتراب من حافاتها في الأقل، بما أن هذه المؤسسات هي الآليات التنفيذية الأكثر فاعلية في تحقيق هذا الهدف، لاسيما وأننا نعيش عصر التقدّم التقني المذهل، وتراكم الخبرة، وانفجار المعلومات، وتزايد دور الآلات الحاسبة وأجهزة خزن المعلومات وتنسيقها، والقفزة النوعية في وسائل الاتصال.. إلى آخره.

ولقد مثل الإسلام، ولا يزال، كمنظور عقدي، وأيضاً كممارسة تشريعية وتعبدية وسلوكية، مرتكزاً من أشد المرتكزات خطورة وتأثيراً على معطيات المسلمين الثقافية، وعلى منح هذه المعطيات خصائصها وسماتها المشتركة.

وإنه لأمر بديهي أن ينفذ الإسلام هذا الدور إزاء الجماعات التي عايشها وعايشته أربعة عشر قرناً، وبديهي - كذلك - أن يكون الإسلام -بالتالي- أشد عوامل الاتصال والتوحّد الثقافي بين المسلمين فاعلية وتأثيرا، بل أن يكون القاعدة الأساسية التي منحت المسلمين ثقافة متميزة تستمد أسسها وتكوينها من الدين الذي صاغها.

ولكن المطلوب شيء غير مجرد التأكيد على هذه البديهيات.. إنه البحث المتأني الدقيق عن سائر عناصر الانعكاس الإسلامي على النشاط الثقافي المعاصر للمسلمين.. المطلوب بحث ميداني قد توظف له حشود من الطاقات لحصر هذا الانعكاس بسائر مفرداته من أجل وضع اليد على ما تبقى من عناصر الارتباط بين الإسلام وبين ثقافة المنتمين إليه، وما الذي تعرض للاضمحلال والزوال، وبالتالي تشخيص الأسباب والمؤثرات التي أبقت على عناصر معينة، وأضعفت وأزالت أخرى، الأمر الذي يمكن أن يعين على الإفادة من العناصر المستمرة في تعزيز الوحدة الثقافية من جهة، وإعادة الحياة والفاعلية -من جهة أخرى- للعناصر الأخرى التي تعرّضت للاضمحلال والغياب، من أجل تحقيق أكبر قدر من التغطية بين الإسلام وبين ثقافات المسلمين الواقعة، ومن أجل أن يتحقق أكبر قدر ممكن من التشكل في إطار الرؤية والتجربة الإسلاميتين لا خارجهما. وحينذاك ستجد وحدة الثقافة الإسلامية عناصر دفع وإرفاد جديدة تمكنها، ليس فقط من مواصلة الطريق، والديمومة، ولكن من التحقّق بمزيد من التأصيل والتعبير عن الذات.

إن المؤسسات التعليمية والإعلامية هي الأقدر على تأدية هذه المهمة، وهي التي يتحتم أن تناط بها مسؤولية كهذه، لأنها - كما ألمحنا - الأداة التنفيذية لتحقيق التواصل الثقافي الدائم بين المسلمين وعقيدتهم، ومن ثم يتحتم أن تقوم أنشطة وممارسات هذه المؤسسات ولو على حدّ أدنى من الالتزام بالمنظور الإسلامي للكون والحياة والوجود والمصير، وأن تصطبغ مفرداتها بالصبغة التي يتطلبها هذا المنظور، قدر الإمكان، من أجل أن تتخرج أجيال الطلبة والدارسين والمواطنين عموماً، في مدى عالم الإسلام، وهي تحمل عناصر اللقاء، والتقارب، والتوحّد على مقتضيات هذه العقيدة، فتكون متميزة الثقافة، أصيلة المعطيات، تملك خصوصياتها التي تمنحها مكانها المستقل على خارطة العالم.

ومعنى ذلك أن أي تخطيط أو برمجة لاستراتيجية ثقافية موحدة لن تكون قد فعلت شيئاً، أو قطعت ولو جزءاً يسيراً من الطريق، صوب هدفها، ما لم تمنح الممارسات التعليمية والإعلامية الاهتمام المتزايد، وتضمن تحقّقها -على الأقل- بالحدّ الأدنى من مطالب الارتباط بين المفردات الواقعية اليومية للأمة، وبين العقيدة والشريعة اللتين تنتمي إليهما وترفع شعاراتهما صباح مساء..